مجلة إسلامية ثقافية

رسالة النجف

العدد الثاني

تموز - آب - أيلول : 2005م 2005م

جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية — لبنان

محتويات العدد

1	الافتتاحية	التحرير
2	تحقيق مصور-حوزة الإمام الرضا(ع)- الغبيري	أحمد الموسوي
3	فصل الخطاب في الميزان	السيد جعفر مرتضى
4	شبهة تحريف القرآن في كتاب الكافي	الشيخ أمين ترمس
5	مصحفنا الفعلي هو نسخة علي(ع)	الشيخ علي كوراني
6	دخالة العقل في الدلالة على الحكم الشرعي	الشيخ مفيد الفقيه
7	القضاء الشرعي	الشيخ حسن عبد الساتر
8	بشارة الملكوت	الشيخ حاتم إسماعيل
9	تأثّر المواقيت والأهلّة بالظروف الجوية	م. محمد علي الصائغ
10	التوازن الفردي والاجتماعي	الشيخ أكرم جزيني
11	الكتابة رسالةً وأسلوبًا	الشيخ حسين قازان
12	تأثير اللغة العربية في لغات العالم	د. حسن جعفر نور الدين
13	يا راحلين إلى العراق (قصيدة)	الشيخ عبد الحسين صادق
14	ولادة الزهراء (قصيدة)	الشاعر علي عطوي

الافتتاحية

التحرير

بالأمسِ، ومع بداياتِ نزولِ الوحي على نبيّنا الأكرم (صلى الله عليه وآله)، أعلن مشركو مكة الحرب على القرآن الكريم، فاتّهموا صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله) بأنّه شاعر وكاهن، ووصفوه بأنّه ساحر، ونسبُوه إلى الجنون...

ولكن مسيرة الوحي استمرّت، ولازمتها حملات التشكيك والافتراء، حتى كان يومُنا هذا، فشهدنا ما تعرّض له الكتاب العزيز من إساءة في معتقل "غوانتنامو" قام بها مبشرو الحضارة أدعياء التقدّم!!

فما الذي يجمع بين مشركي الأمس ومتحضّري اليوم؟!

الجاهليّة!!

إنها جاهليّة واحدة، تلبّست بالأمس بِلَبُوس الوثنية والشّرك، وتزيَّت اليوم بزيّ المدنية والتقدّم.

إلا أن ما يَبعث على الأسى حقيقة، هو تفاوت حال المسلمين وتباين موقفهم حيال افتراءات الأمس وإساءات اليوم.

فمسلمو الأمس امتازوا بالحركة والفاعلية، وهم إذ كانوا يقدّسون كتابَهم المنزل، ويهتدون بهديه، فإنهم حوّلوا تعاليمه إلى واقع، وترجموا دعوته إلى حياة، فكانوا أقوياء قادرين.

أما مسلمو اليوم، فهم مع احتفاظهم بتقديس الكتاب العزيز، إلا أنهم ابتعدوا عن هديه، ففقدوا الفاعلية واستكانوا إلى العجز، وكان مُنتهى ما جاؤوا به من ردّ هو إعلان الاحتجاجات وتسيير المظاهرات، وهما مظهران سلبيان من مظاهر الحركة، إذ إنهما لا يتعدّيان دائرة ردّ الفعل، في زمان نحن أحوج ما نكون فيه إلى الفعل.

وليس يُلام العاجز إذا لم يأتِ بأكثرَ مما يسمح به عجزه، ولكن اللوم يقع عليه حين يقنع بعجزه ويبرّر لنفسه الخنوع.

لقد أُسيء إلى كتابنا العزيز... فلتكن هذه فرصة لمحاولة الخروج من العجز ومناسبة للإتيان بعملٍ إيجابي، فنعودُ إلى القرآن الكريم، ونعيده إلى حياتنا، فنقدّسه كما ينبغي التقديس، ونشفع ذلك بإيمانٍ حقيقي وسلوك فاعل، وبذلك نكون قد قمنا بالردّ الصحيح الذي يُرضي الله ويُغيظ الأعداء.

ونحن في مجلة (رسالة النجف) كنا قد اخترنا لهذا العدد ملفًّا تتناول أبحاثه جانبًا من شبهات خصوم القرآن وافتراءاتهم، وكان ذلك قبل أن تطرق مسامعنا أنباء تلك الإساءة الخبيثة التي تناقلتها وسائل الإعلام، فلم يكن بالمستطاع تناول هذه القضية بشيء من التفصيل، لذا اكتفينا بما كنا قد أعددنا له العدّة، على أملِ أن تُعالَج قضية الإساءة في فرصة أخرى بعون الله تعالى.

ثم إلى جانب هذا الملف، الذي تَمثَّل في ثلاث مقالات لبعض العلماء والمحقّقين، تحمل صفحات هذا العدد مجموعة من المقالات المتنوعة، الدينية والعلمية والأدبية، جادت بها أقلام ثلّة من الباحثين الجادّين والأدباء المبدعين، وكان الشعر هو مسك الختام كما هو ديدن مجلتنا.

وأخيرًا... نبتهل إلى المولى الكريم أن نكون قد وُفِّقنا ليجدَ القارئ العزيز ما هو المرتجى من الفائدة والنفع، إنه حسبنا ونعم الوكيل.

التحرير

تحقيق مصور-حوزة الإمام الرضا(ع)- الغبيري

أحمد الموسوي

حوزة الإمام الرضا (عليه السلام) في الغبيري

حركة علمية وعلمائية واعدة

تحقيق: أحمد الموسوي

* **سماحة العلامة الحجة الشيخ حسن رميتي**: من اتّكل على الله وأخلص النيّة يصل بتوفيق ربّاني.

◄ ميثاق الحوزات يحتاج إلى نظامٍ يحميه.

◄ هدفنا تهيئة العلماء وتمكينهم من إعطاء الفتوى الصحيحة.

◄ أدعو إلى وضع كتب جديدة في الدراسة الحوزوية.

◄ نؤيد التوجّه إلى الدراسة التخصّيصة داخل الحوزات.

* **مدير الحوزة الشيخ علي قبيسي**: نهتم بالنوعيّة، والتبليغ الصحيح بالفهم الصحيح.

◄ قبل مرحلة الخارج.. مراقبة وامتحانات شهرية وفصلية.

حوزة الإمام الرضا (عليه السلام) في منطقة الغبيري من الضاحية الجنوبية لبيروت، واحدة من تلك الحوزات العلمية التي منّ الله بها على هذه المنطقة وعلى طلبة العلوم الدينية في كل لبنان، لتضاف إلى تلك المراكز المباركة لصناعة الرجال العلماء وصقلهم بالعلوم الإسلامية بكل تفرّعاتها الإنسانية والدينية والشرعية والفكرية.

حركة علمية وعلمائية لافتة تتفاعل داخل الحوزة، على الرُّغم من أنه لم يمضِ زمن طويل على تأسيسها، حركة تُضمر وعدًا طموحًا بإغناء المذهب الجعفري، ورفده بنُخَبٍ واعدة تكرّس أصالة الدين الحنيف، وفاعلية العمل الحوزوي في مواكبته للقضايا التي تواجه حركة الإسلام في مساره التاريخي، كآخر الرسالات السماوية التي اكتملت بالقرآن الكريم مع الرسول الأمين وخاتم النبيّين محمد (صلى الله عليه وآله).

تأسيس الحوزة ما بين عامي 2003 و 2004



أما مؤسّسها فهو سماحة العلامة الحجّة الشيخ حسن رميتي العاملي،الذي بدأ دراسته العلمية في خريف عام 1979م في حوزة السيد أحمد الواحدي في سوريا الذي كان حينها وكيل السيد الخميني، وبعد سنة ونصف غادر سماحته إلى الجمهورية الإسلامية في إيران عام 1981م حيث تابع دراسته، فدرس مرحلة السطوح على يد كوكبة من الأساتذة الأفاضل، ثم مرحلة بحث الخارج على يد ثلّة من العلماء المراجع، منهم آية الله الميرزا جواد التبريزي، ولازم درسه فترة مديدة في الفقه والأصول، وآية الله الشيخ وحيد الخراساني، و آية الله الشيخ فاضل لانكراني، و آية الله السيد أبو القاسم الكوكبي.

وبعد إنهاء دراسته، عاد سماحته إلى لبنان عام 2002م، وبدأ فور وصوله بتزكيةِ ما منَّ به الله عليه من معرفة عالية وعلم غزير، فبدأ بتدريس بحث الخارج فقهًا وأصولاً في حوزة "أهل البيت (عليهم السلام)" في النبطية التي أسّسها حجة الإسلام سماحة الشيخ عبد الحسين صادق، لمدّة سنتين، تزايدت فيها أعداد طلابه باستمرار، فقرّر البحث عن مبنىً مستقلٍ يستوعب الطلبة الجدد، وبتوفيق ربّاني هيَّأ الله له المبنى بعد أسبوع واحد من البحث، إذ علمت حاجّة مؤمنة محبّة لعمل الخير، بما يسعى إليه سماحته، فقدّمت له شقّة تملكها في منطقة الغبيري مؤلّفة من أربع غرف، وصاحبة الخير تلك هي المرحومة الفاضلة الحاجة فَطَم العسيلي، ابنة العلامة المقدّس الشيخ محمد العسيلي، وكان يتبع تلك الشقة باحة واسعة، فجرى سقفها وأُلحقت بالشقّة، واستعمل الجزء الأكبر منها قاعةً للتدريس، وحين توفيّت الحاجة فَطَم انتقلت ملكية الشقة إلى ولدها الحاج رضا ركين الذي جعلها مع إخوته الأفاضل وقفًا للحوزة، وكان ذلك بمساعي العلامة الشيخ أحمد العسيلي وفقه الله لكلّ خير.

وصايا

والغاية من تأسيس الحوزة كما يقول سماحة الشيخ حسن رميتي، هي إعداد الطلاب وتهيئتهم لاستيعاب المسائل وتبيان الحدود الشرعية وإعطاء الفتوى الصحيحة للنّاس، وأيضًا ترغيب الطلاب في دراسة علوم أهل البيت (عليهم السلام) ليكونوا هداتهم إلى التمسك بعلومهم.

ولدى سماحته وصايا تُشبه الشروط، لكل طالب علم يريد الانتساب إلى أيّة حوزة وخاصة حوزة "الإمام الرضا(عليه السلام)" ومن هذه الوصايا:

1- لا بد أن يكون الطالب مهيّئًا للعلم متفرّغًا له، فلا ينشغل بالأمور الأخرى، وإذا ما تزاحمت عليه الأمور، كان من واجبه الاهتمام بالعلم وتقديمه على ما سواه.

2- على الطالب أن يفهم المسألة بشكل مفصّل، فإذا لم تتّضح أو بقي فيها أيّ إبهام، فعليه أن يسأل الأستاذ ويكرّر السؤال، لأنه حين يفهم الحكم بشكل صحيح، يستطيع تبليغه بشكل صحيح.

3- على كل طالب أن يكون على يقين بأنه إذا اتّجه إلى الله سبحانه وتعالى وتوكّل عليه، وكان همّه فهم الدرس، فإن الله يهيئ له باقي الأمور من حيث لا يحتسب، فإذا أخلص النيّة والعمل، يسّر الله له كلّ أمر، وتاريخ الحوزات حافل بأسماء العلماء الذين وصلوا إلى المراحل العليا ببركة التوكّل على الله وإخلاص النيّة.

الميثاق والنظام

وهنا نسأل سماحته:

* ما علاقة هذه الوصايا بميثاق الحوزات الدينية؟ وما مدى الالتزام به في حوزة "الإمام الرضا(عليه السلام)"؟

◄ لا بأس بهذا الميثاق، وتطبيقه عمليًا يحتاج إلى عناية خاصّة، وفي تصوّري أنّ هذا الأمر يحدّ من بعض الفوضى السائدة في الحوزات، ولا يلغيها جميعًا، لأنه لا يوجد رقيب يراقب تطبيق بنود الميثاق، وهذا ما قد يُبقي الباب مفتوحًا لتسرّب طَلبة غير مؤهلين إلى الحوزات، ولا شك أن ضبط هذا الأمر من الصعوبة بمكان، ومن المهم هنا الإشارة إلى أن تطبيق هذا الميثاق لا يتحقّق بشكل جيد إلا إذا كان هناك نظام يحميه، وهذا غير متوفر في لبنان.

* وما المقصود بالنظام هنا؟

◄ الأمر يحتاج إلى نظام سياسي عادل يمكنه فرض الشرائط على المنتسبين إلى الحوزات، ويمكنه أن يحاسب من يتجاوز بنوده، فطالما لا يوجد المُحاسب ولا توجد القوّة التي تُحاسب فلا يمكن تطبيقه بشكل صحيح، وعلى العموم هذا الميثاق لا يخلو من فائدة.

* وماذا عن المنهج الدراسي المتبّع في حوزة "الإمام الرضا(عليه السلام)"؟ وما موقف سماحتكم من الدعوة إلى التجديد والتطوّر في هذا الشأن؟

◄ نعتقد أنه من المستحسن أن تُوضع للتدريس كتب جديدة، بحيث تكون الاستفادة منها أفضل وأسهل من الكتب السابقة، وينبغي أن تقوم مجموعة من العلماء بتهيئة كتب الدراسة الحوزوية، إذ بعض الكتب التي تُدرّس اليوم لم توضع في الأساس للتدريس، لكن كتَبَها مؤلّفوها لتبيان المسائل ولطرح آرائهم فيها، مثل كتاب "الرسائل" للشيخ الأنصاري في الأصول، وكتاب "المكاسب" في الفقه، وغيرهما.

وينبغي أن يُعلم بأن تحصيل المطلب يتوقّف بشكل أساسي على الطالب الذي يدرس المادة، فعليه أن يُتعِب نفسه في تحصيل المسائل وفهم المطالب، ومن هنا لا توجد ضوابط لطلاب الخارج من حيث كيفية فهم المسائل، وإنما مرجعها إلى أنفسهم، فكلّما اشتغلوا أكثر استفادوا أكثر.

التخصّص

* هل تؤيدون التوجّه نحو الاختصاص في الدراسة؟

◄ نفضّل أن يكون هناك اختصاص، فيتخصّص كل طالب بفنٍّ من الفنون، فمن أراد أن يكون فقيهًا فعليه أن يختصّ بالفقه، ومن أراد أن يكون خطيبًا فعليه أن يعتني بشؤون الخطابة، ومن أراد الاختصاص بشؤون القرآن فعليه أن يعتني بعلومه، وهكذا، لتكون هناك منهجية واستفادة أكبر.

* بالنسبة إلى التقليد، هل في الحوزة وجهة معيّنة؟

◄ عادة أذكر آراء سماحة المرجع الديني شيخنا الأستاذ الميرزا جواد التبريزي (شفاه الله وعافاه)، وأحيانًا أذكر آراء غيره أيضًا، وعلى العموم لا نُلجئ الطلاب في الحوزة إلى تقليد مرجعٍ معيّن، ولا نبحث في هذا الأمر، فالنّاس هم من يختارون، إلا إذا أرادوا أن يسترشدوا فنرشدهم إلى الأعلم ونحو ذلك.

* أين يجب أن تقف الحوزة من العمل السياسي برأيكم؟

◄ بطبيعة الحال لا ينبغي أن تكون الحوزة بعيدة عن الأجواء السياسية، كما لا ينبغي الانخراط في العمل السياسي بحيث يؤثر ذلك على طبيعة عمل الحوزة.

ونحن ندعو إلى أن يكون المشتغل بالسياسة متقنًا لها، فلا تَهْجُم عليه الفتن، ويميّز بشكل صحيح الأمور المتداخلة، ومن الغلط الشديد الاشتغال بالسياسة قبل أن ينهي الطالب دراسته.

وبعبارة أوضح: ينبغي أن يكون قائد الناس في السياسة العالم الذي وصل إلى المرتبة العليا، ليكون قادرًا على إعطاء الحكم الصحيح، وليكون مرتاح الضمير بينه وبين الله سبحانه وتعالى، وإلا فإذا تصدّى لهذا الأمر غير الكفؤ فسيكون ضرره أكبر من نفعه.

* وداخل حوزتكم؟

◄ غير مسموح بالسياسة.

متعدّدو الجنسيات

ويدرس في حوزة "الإمام الرضا (عليه السلام) طلبة من مختلف المناطق اللبنانية، بينهم ستة وخمسون طالبًا في مرحلة بحث الخارج، وعدد غير قليل من الطلبة متعدّدي الجنسيات من أفريقيا والسعودية والعراق وإيران.

وعن النظام الدراسي المتّبع والعلاقة مع الطلاب، تحدّث لـ"**رسالة النجف**" مدير الحوزة سماحة الشيخ علي محمود قبيسي عبر الحوار التالي:

* ما هي مراحل الدراسة في حوزة الإمام الرضا (عليه السلام)؟



◄ يُدرّس في الحوزة:

1- المقدّمات، وهي على قسمين: أولى وثانية.

2- السطوح: سطوح أولى وسطوح ثانية.

3- بحث الخارج.

* ما هي مقاييس أو شروط الدراسة والاستمرار فيها في الحوزة؟

◄ في مرحلة المقدّمات نؤكّد على النوعية وليس الكميّة، وعلى عدم كثرة إعطاء الدروس في اليوم الواحد، إفساحًا أمام التحصيل الذاتي الجيد، فليس مهمًّا عدد الدروس أو الكتب، وإنّما المهم التحصيل وإتقان الكتاب وفهم المطالب بشكل جيد.

ونحن في الحوزة حريصون على التدرّج بحيث لا ينتقل الطالب من كتاب إلى كتاب إلا بعد إكمال الكتاب السابق بإتقان، لأن الهدف إعداد الطالب وتهيئته لاستيعاب مرحلة "الخارج"، وبطبيعة الحال يختلف الأمر باختلاف الأشخاص، فبعضهم لديه قدرة فائقة على استيعاب المطالب وفهمها، وبعضهم متوسط القدرة.

مراقبة ومساعدة

* هل يتمّ إجراء امتحانات؟

◄ نعم هناك مراقبة دائمة، وامتحانات شهرية وفصلية لقسم ما قبل الخارج، ومن نجده مقصّرًا يُعطى دروسًا خاصة لتقويته، أما من يبقى على ضعفه فيُصرف من الحوزة.

* وبالنسبة إلى مرحلة بحث الخارج؟

◄ بالنسبة إلى هذه المرحلة، فالغاية الأولى من الدرس والتدريس فيها هي تدريب الطلاب وتهيئتهم على كيفية استخراج الأحكام من أدلّتها الخاصة، ومن هنا لا بدّ أن يكون للأستاذ إلمام كامل بالمطلب وبحيثيّاته من مراجعة أقوال العلماء والأخبار، وفي هذه الحالة على الطالب أن يشتغل بعد أخذ الدرس بشكل جيد، ويُراجع المطالب في مصادرها للتعمّق والتدقيق في المسألة، وهذا يتوقّف بدوره على فهم المسألة بأطرافها مع مراجعة أقوال الأعلام فيها، وعندئذ يَعرف الطالب كيف اختير الرأي.

* هل من وقت محدّد في هذه المرحلة؟

◄ لا وقت محدّد لها من حيث مدّة الحضور، وليست محدّدة من حيث الأبواب الخاصة، لكن يستطيع الأستاذ أن يبحث في الفقه مثلاً أيّ باب من أبوابه بشكل متدرّج من خلال الباب نفسه، وتختلف أيضًا الاستفادة باختلاف الأشخاص، مع الإشارة إلى أنه يبقى للأستاذ أثر كبير من جهة قدرته على بيان المطلب وكيفية تفهيم الطلاب.

توسعة ونشاطات

ورفع المستوى العلمي في حوزة الإمام الرضا (عليه السلام) لا يقتصر على اختيار نُخبة من خيرة الأساتذة الأكفّاء الذين يتولّون التدريس، ولا يقتصر على ما تقوم به إدارتها من مراقبة وتدقيق وغربلة للطلبة المؤهلين لتأدية رسالة جليلة..

وإنما يتخطّى ذلك إلى تهيئة أفضل المناخات للتحصيل العلمي الذاتي بعد الدرس، كتأسيس مكتبة كبيرة - هي قيد الإنشاء -، وتنفيذ برامج ونشاطات تربوية وثقافية وفكرية يُنتظر أن تنطلق في العام المقبل بعد الانتهاء من أعمال التوسعة الجارية في الحوزة التي تستعدّ لاستقبال العشرات من التلامذة الجُدد على مقاعدها الدراسية، والذين يشكّلون طلاب اليوم وعلماء وقادة الغد.



فصل الخطاب في الميزان

السيد جعفر مرتضى

السيد جعفر مرتضى *

كثيرًا ما يتّهمنا بعض المخالفين بالقول بتحريف القرآن، ويحتجّون علينا بكتاب "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب".

فما هو موقع هذا الكتابِ ومضمونِه في دائرة الفكر الشيعي؟

نقول: إن كتاب الله سبحانه هو ذلك الكتاب الخالد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه. وهو الذكر المصون الذي أخذ ربّ العزّة والجلال على نفسه أن يكون هو الحافظ له، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}([1]).

ونحن وإن كنّا قد بحثنا هذا الأمر مفصّلاً في كتابنا "حقائق هامّة حول القرآن الكريم"([2])، والذي يبيّن بما لا يقبل الشك أن الشيعة لا تدانيهم فرقة من الفرق الإسلامية في تنزيه الكتاب العزيز عن التحريف، الا أننا وجدنا من المناسب وضع مقالة سهلة التناول، وذلك تعميمًا للفائدة.

ومن أراد التوسّع والتفصيل، فليرجع الى كتابنا "حقائق هامّة" وغيره من الكتب التي تصدّت للردّ على هذه النسبة.

ولسوف تذهب كلّ محاولات الحاقدين والموتورين الذين يريدون النيل من معجزة الإسلام الخالدة أدراج الرياح، وستكون حسرة عليهم، حين يرون كيف أن كل كيدهم ومكرهم **{**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ**}**([3]).

غير أن ثمة أمرًا يحاول من خلاله بعض الحاقدين، والجهلة المتعصبين، الطعن به على شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، وإثارة أجواء مسمومة حول اعتقادهم بالقرآن، متذرّعًا بما صدر عن أحد المحدِّثين المعروفين، وهو الشيخ حسين النوري([4])، الذي وقع تحت تأثير روايات ذات طابع معيَّن، روي بعضها في كتب الشيعة، وورد أكثرها من كتب غير الشيعة، وعلى رأسها الصحاح الستة وسواها من مجاميع حديثيّة، وكتب تفسير وقراءات، وعلوم قرآن لدى غير الشيعة.

وحين لم يستطع أن يعرف هذا المحدِّث وجه الحقّ فيها، ولم يتمكّن من أن يردّ ما يستحق الرد، ويقبل ما يكون فيه موجبات القبول، وعجز عن تحديد المراد فيما يحتاج إلى تفسير وتأويل.. بادر إلى تأليف كتاب ضعيف في مبناه، وفي معناه.. زعم أنه أثبت فيه -استنادًا إلى تلك الروايات والمنقولات- حدوث تحريف في كتاب الله

سبحانه، وقد سماه بـ «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب»([5]).

ومن الواضح: أن شذوذ أحد المنتسبين إلى مذهب مًا برأي غريب، لا يبرر نسبة ذلك الرأي إلى ذلك المذهب، ولا يصحح التشنيع عليهم به. ولو فتح هذا الباب لذرت قرون الأحقاد والفتن، ولاتَّسَع الخرق على الراقع.. وربما لم يسلم أحد.

ومهما يكن من أمر، فإن إلقاء نظرة متأملة على مضامين ذلك الكتاب تعطي أنه يفقد القيمة العلمية من الأساس.

ونحن هنا نشير باقتضاب شديد إلى بعض وجوه الخلل فيه، فنقول:

إنّ أدلة هذا الكتاب على ما ادَّعاه الكاتب هي اثنا عشر دليلاً، زعم أنّها تدلّ على وقوع التحريف في كتاب الله، ولعلّ دليلين منها، قد أخذهما من كتب الشيعة.. والعشرة الباقية -بكل ما حشده فيها من روايات- إنما أخذها من كتب غير الشيعة، ولربما يورد فيها النزر اليسير من كتب الشيعة أيضًا.

ونحن نورد أدلته هذه، ثم نشير إلى وجوه الخلل فيها، على سبيل الإجمال والاختصار، ليتضّح الأمر، وليسفر الصبح لذي عينين، مع تذكير الأخوة الأكارم بأن لا غنى عن مراجعة الكتب التي توضّح الإجابات على أقوال ذلك المحدِّث بصورة أتم، وتضع النقاط على الحروف في مختلف التفاصيل التي حاول أن يثيرها في سياق حديثه..

ولسوف يتضح: كيف أن أهل الفتنة والضغينة يمارسون عملاً ظالمًا ومجحفًا في حق أتباع أهل البيت «عليهم السلام»، وأن عملهم هذا يعتبر جريمة في حق الإسلام والقرآن، وأهله وحزبه، وأتباعه وأشياعه.

يتبع =

الهوامش: (ملاحظة: الهوامش المرفقة أضافتها أسرة التحرير)

([1]) الآية 9 من سورة الحجر.

([2]) تأليف السيد جعفر مرتضى، يعالج فيه موضوع تحريف القرآن وموضوعات أخرى من قبيل جمع القرآن، ونزول القرآن على سبعة أحرف، ونسخ التلاوة، وموضوع اختلاف اللهجات والقراءات، وغير ذلك من موضوعات لها مساس بموضوع تحريف الكتاب إثباتًا أو نفيًا، أصدرت طبعته الأولى في سنة 1409هـ - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقمّ المشرّفة.

([3]) النور الآية39

([4]) هو الشيخ حسين بن الميرزا محمد تقي بن الميرزا علي محمد بن تقي النوري الطبرسي، المعروف بالشيخ حسين النوري، وهو صاحب كتاب (مستدرك الوسائل).

ولد في 18 شوال 1254هـ في قرية "يالو" من قرى "نور" إحدى كور طبرستان، وتوفي في ليلة الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الثانية 1320هـ.

وقد فرغ المؤلف من كتابه "فصل الخطاب" في النجف في 28 جمادى الثانية 1292هـ، وطبع في 1298هـ.

([5]) بعدما نشر الشيخ حسين النوري كتابه المذكور، كتب الشيخ محمود الطهراني الشهير بـ"معرّب" رسالة في الردّ عليه، وسمّاها "كشف الارتياب عن تحريف الكتاب"، وأورد فيها بعض الشبهات، وبعثها الى المجدّد الشيرازي، فأعطاها للشيخ النوري، وقد أجاب عنها برسالة فارسية مخصوصة.

.

تتمة مقال = فصل الخطاب في الميزان

فنقول:

إن ما استند إليه المحدِّث النوري هو الأمور التالية:

الدليل الأول:

استدلّ المحدِّث النوري بروايات عن أهل السنة واليسير منها عن الشيعة تقول: إن ما وقع في الأمم السالفة سيقع في هذه الأمة([1])، وقال: ومن ذلك تحريف الكتاب.

وهو استدلال باطل، لأن المقصود بهذه الروايات هو: مضامين وكليات الأحداث الجارية وفق السنن التاريخية، والتحولات الاجتماعية بصورة عامة..

ويدل على ذلك: أن كثيرًا من الأمور قد حدثت في الأمم السالفة، ولم تحدث في هذه الأمة:

مثل: قصة أهل الكهف.

وذلك الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه.

وولادة نبي من أنبياء الله من غير أب.

وموت هارون وهو الوصي قبل موت موسى النبي.

ورفع عيسى.

وغير ذلك من أمور كثيرة ومتنوعة.

فالمراد بالروايات المشار إليها إذن، هو: وقوع أمور تشبه ولو من بعض الوجوه ما جرى في الأمم السالفة.. وهي تلك التي تخضع للسنن التاريخية، والتحولات الاجتماعية العامة، كما قلنا.

وحتى فيما يرتبط بأمر التحريف، فإن حصوله ولو في بعض الجوانب كاف في صدقية الحديث.. فإذا حرّفت الكتب في الأمم السالفة في مضامينها، وفي نصوصها.. فإن التحريف قد حصل في هذه الأمة ولو في نطاق الحدود والمعاني. وإن كانوا قد أقاموا حروفه، وقد أشير إلى ذلك فيما روي: «أقاموا حروفه، وحرفوا حدوده»([2])..

والنتيجة المتوخاة من التحريف لدى السابقين واللاحقين واحدة.

الدليل الثاني:

الروايات التي رواها غير الشيعة حول جمع القرآن، وأنّه إنّما كان بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، اعتمادًا على شاهدين، مما يعني: أن القرآن لم يتواتر، وذلك يفسح المجال لاحتمال وقوع التحريف فيه([3]).

ويرد على هذا الاستدلال: أن هذه الروايات غير صحيحة.. لأن القرآن قد جمع في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانت المصاحف متداولة وشائعة فيما بين الصحابة.. وكان ثمة كُتَّاب للوحي معروفون في التاريخ، وعلى رأسهم عليّ بن أبي طالب «عليه السلام»، وأُبيّ بن كعب، وآخرون([4]).

لكن الحقيقة هي: أن الحكام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكونوا يملكون نسخة تامة من المصحف، فأرادوا أن يهيئوا لأنفسهم نسخة منه، فطلبوا من زيد بن ثابت فهيّأ لهم ما أرادوا.. وذلك بعد أن رفضوا المصحف الذي كان خلف فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان قد كتب فيه التّنزيل والتأويل، وأسباب النزول، وفي من نزلت الآيات، وأين نزلت، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه منها، وغير ذلك([5])..

الدليل الثالث:

الروايات التي رواها غير الشيعة في آيات وسور يُدَّعى نسخ تلاوتها، فإذا كان نسخ التلاوة باطلاً. ولم تكن تلك الآيات والسّور موجودة في القرآن، فذلك يعني أنها قد حذفت منه، ومعنى ذلك: وقوع التحريف فيه([6]).

ونحن نوافق النوري على رفضه لنسخ التلاوة، غير أننا نقول: إن ما ادَّعوه من آيات وسور قد نسخت تلاوتها، هي في الحقيقة ادِّعاءات باطلة، والنصوص المشار إليها هي: إما من كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو بعض الصحابة أو هو كلام مختلق، ومكذوب من قبل الأعداء، أو غير الواعين، وغير الورعين، لأهداف وأغراض مختلفة.

وقد تصدينا في كتابنا «حقائق هامة حول القرآن» لبيان زيف هذه الادِّعاءات، فلا بأس بمراجعته لمن أراد التوسع في ذلك([7]).

يتبع =

([1]) ورد في تفسير قوله تعالى {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ} الانشقاق19: عن حريز عن بعض أصحابه عن أبى جعفر عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة)، والقذة: ريش السهم، يعني كما تقدر كل واحدة منهن على صاحبتها وتقطع، قال ابن الأثير يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. راجع تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي 1/ 606.

([2]) روى في الكافي 8/53؛ والبحار 75/359؛ والوافي 5/274: عن الإمام الباقر (عليه السلام) فما كتبه لسعد الخير: (...أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهّال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم بتركهم للرعاية).

([3]) راجع الإتقان 1/57 فما بعدها؛ وصحيح البخاري 3/145؛ و2/90؛ ومسند أحمد 1/13؛ وغيرها.

([4]) راجع صحيح البخاري 2/201 و3/147؛ كنز العمّال 2م390؛ جامع الترمذي 5/666؛ وحقائق هامّة ص90، وغيرها.

وقد بحث المؤلف في "حقائق هامة" دعوى جمع القرآن بشاهد وشاهدين وبيّن ضعفها، واستدل بما لا مزيد عليه على جمع القرآن في عهد النبي (ص)، راجع حقائق هامة من ص63 الى ص 138.

([5]) راجع تفسير البرهان - المقدمة ص36 عن تفسير القمّي والإتقان 1/57-58؛ وعمدة القاري 20/16؛ والوافي 5/274؛ وحقائق هامّة ص81؛ وغيرها.

([6]) راجع لباب التأويل للخازن 1/8؛ والبرهان للزركشي 1/235-262؛ والإتقان 1/157؛ وفتح الباري 9/10؛ ومناهل العرفان 2/110؛ وغيرها.

([7]) بحث المؤلف فيه بحثًا مطولاً حول نسخ التلاوة ذكر فيه أدلة القائلين به وبيّن زيفها وبطلانها، وتعقّب الروايات التي تضمنت ما ادعي كونه آيات قرآنية خلا منها القرآن الكريم،وبيّن بطلانها، راجع حقائق هامة ص305 الى صفحة 368.

.

تتمة مقال = فصل الخطاب في الميزان

الدليل الرابع:

استدلّ بروايات وردت من طرق غير الشيعة حول اختلاف مصاحف السلف، وحول أن ترتيب القرآن كان باجتهاد الصحابة([1])..

ونقول:

أولاً: لو سلمنا صحة هذه الروايات، فإنها لا ربط لها بتحريف القرآن، لا من حيث الزيادة، ولا من حيث النقيصة، فإن بعض السلف كان يجمع السور القرآنية بصورة تدريجية تبعًا لتدرج نزولها.. وقد يطلع على سورة في وقت متأخر عن اطلاع غيره عليها، فيثبتها في مصحفه من ذلك الحين..

أضف إلى ذلك: أن اختلاف ترتيب السور ليس بالأمر المهم.

أما دعوى الاختلاف في ترتيب الآيات، فلا يصح ما قالوه فيه أيضًا، لأنه إنما يستند إلى مجرد استحسانات، بل تخرصات تدل على عدم فهمهم لمعاني بعض الآيات، فادَّعوا أنها أزيلت من أماكنها لتوضع في أماكن أخرى..

ولكن مراجعة الموارد التي ادَّعوها تظهر فساد ما قالوه، فلا ينبغي الالتفات إليه..

ولكي يتضح ما نرمي إليه نورد هذا المثال المعروف، وهو: أن البعض قد حاول ادِّعاء: أن آية التطهير، قد ازيلت عن موضعها في سورة هل أتى، ووضعت في سورة الأحزاب في سياق مخاطبة النساء، مع أنها لا ترتبط بهن.

ومن الواضح: أن هذا الكلام يدل على عدم تدبر هذا القائل في معنى الآيات الكريمة.. فإن نقل هذه الآية إلى سورة هل أتى، يفسد معنى آيات تلك السورة، إذ لا مناسبة بين سياقها ومضامينها، ويبن إذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم.

ويخل أيضًا بالمعنى في آيات سورة الأحزاب، لأن سياق الآيات يتجه إلى بيان أن الله سبحانه وتعالى قد طلب من نبيِّه أن يقول لأزواجه أمورًا، ويفرضها عليهن، فقال له: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً، وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّه وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا}

(قل لهن): {يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا}

(قل لهن): {وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا}

(قل لهن): {يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا}

(قل لهن): {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَهَ وَرَسُولَهُ}

(ثم قال له): {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا..}([2]).

أي أننا إنما أصدرنا هذه التوجيهات لزوجاتك، لأننا نريد إبعاد الرجس عنك وعن أهل البيت حتى ولو صدر من أناس آخرين، كالزوجات، أو الجيران، أو الأقارب.. مع تعمّد الإلماح إلى أن الزوجات فيهن المسيئات، وفيهن المحسنات، وأشار إلى شيء من مخالفاتهن في سورة التحريم، والطلاق، والأحزاب..

فالأمر للزوجات لا لخصوصية لهن، بل الخصوصية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولأهل بيته «عليهم السلام» فقط.

وثانيًا: كيف سيتم نقل آية التطهير إلى سورة هل أتى، وهي نصف آية؟! فهل يبقى صدرها في سورة الأحزاب ناقصًا؟! أم تنقل كاملة إلى هناك ليظهر التنافي والتنافر بينها وبين آيات تلك السورة بصورة أتمّ وأجلى؟!

وثالثًا: إن القبول بهذه الاستحسانات، والذوقيّات سيفتح الباب أمام التّلاعب بالقرآن، ويفسح بالمجال أمام أي شخص كان ليدَّعي: أن هذه الآية لا تناسب هذه السورة، بل تناسب تلك.. من خلال أوهام وتخرصات في مختلف الاتجاهات، وفق ما يروق له، وانسجامًا مع أهداف شريرة تدفعه لزرع الفتنة، أو للتّلاعب بإيمان الناس، أو بحياتهم..

الدليل الخامس:

ما رواه غير الشيعة أيضًا: من اختلاف مصاحف الصحابة في بعض الكلمات، مثل إضافة: «إلى أجل مسمّى» في قوله تعالى: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ}([3]). وإضافة كلمة «بعلي»([4]) إلى قوله تعالى {وَكَفَى اللَهُ المُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}([5]).

يتبع =

([1]) للاطلاع على مصادر تلك الروايات راجع حقائق هامة ص148.

([2]) الآيات 28 ـ 34 من سورة الأحزاب.

([3]) الآية 24 من سورة النساء.

([4]) راجع الدرّ المنثور 5/192، وحقائق هامة ص250.

([5]) الآية 25 من سورة الأحزاب.

.

تتمة مقال = فصل الخطاب في الميزان

الدليل السادس:

ما روي من اختلاف بعض المصاحف في زيادة سورة أو آية، من قبيل زيادة سورتي الخلع والحفد في مصحف أُبي بن كعب، وسورة الولاية، وكذلك زيادة بعض الآيات مثل آية: الشيخ والشيخة إذا زنيا فاجلدوهما البتة الخ.. وما إلى ذلك.

ونقول:

أما بالنّسبة للكلمات المدرجة في الآيات، مثل كلمة «إلى أجل مسمّى»، ونحوها.. فإنّ المراجع لها يجد أنها إمّا جاءت على سبيل التفسير، أو لبيان التأويل المروي([1]).

وأمّا ما زعموا أنه سور وآيات، فهي إمّا أدعية وابتهالات، مثل سورتي الخلع، والحفد([2])، أو أنها مواعظ وعظات، تخيلوا أنها من القرآن، وهي ليست منه، أو تضمنت مطالب وأمورًا، أحب بعضهم أن يدخلها في القرآن إشباعًا لبعض رغباته، مثل: الحديث عن رجم الشيخ والشيخة([3]).

ومثل: الحديث عن رضاع الكبير([4])..

ومثل: {لو كان لابن آدم واديان من تراب لابتغى واديًا ثالثًا}([5]).. وما إلى ذلك..

كما أن ابن مسعود لم يذكر المعوذتين في مصحفه، لتخيّله أنهما عوذتان للحسنين «عليهما السلام»([6])..

الدليل السابع:

ما رواه غير الشيعة من إحراق عثمان للمصاحف، وحمله الناس على قراءة واحدة.

وجوابه واضح: فإنّ اللّحن كان قد فشا في الناس، وكثرت القراءة بلهجات القبائل المختلفة.. فكان ما عمله عثمان هو: أنه جمع الناس على قراءة واحدة.

وهذا إجراء حسن، يهدف إلى حفظ القرآن من التحريف لا العكس، وأيده فيه أمير المؤمنين «عليه السلام»([7])، ولكنه لم يرض بالإحراق لسائر المصاحف، المكتوبة وفقًا لسائر اللهجات، لما في الإحراق من الإهانة للقرآن.

الدليل الثامن:

روايات غير الشيعة حول نقص القرآن وذهاب كثير من آياته وسوره([8]).

وهذا الدليل أيضًا واه: فإن تلك الروايات غير صحيحة، فراجع كتابنا: «حقائق هامة حول القرآن الكريم» صفحة 343 الى صفحة 345، و353 الى 368.

إلا إذا كان المقصود هو: ذهاب تفاسير وبيانات للمعاني القرآنية، لا ذهاب نفس الآيات القرآنية، كما تقدّم في التعليقة رقم (18).

يتبع=

([1]) قال ابن الجزري: (ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحًا وبيانًا لأنهم محقّقون لما تلقّوه عن النبي (ص) قرآنًا، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه).

وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 1/86: (وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرأوا بكذا وكذا، إنما ذلك على جهة البيان والتفسير). راجع النشر 1/32؛ والإتقان 1/77؛ وحقائق هامة ص224.

([2]) زعموا أنه يوجد في مصحف ابن عباس وقراءة أُبي وأبي موسى: (بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك الخير ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يهجرك)، وفيه: (اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك ونرجو رحمتك،إن عذابك بالكفار ملحق)، راجع الإتقان 1/65، 2/26؛ والدرّ المنثور 6/421؛ والبرهان للزركشي 2/37-127؛ وروح المعاني 1/25؛ وأكذوبة تحريف القرآن ص33؛ وحقائق هامة ص328-329.

([3]) روي أن عمر بن الخطاب كان يعتقد أن القرآن ينقصه آية الرجم وهي على حدّ زعمه التالية: {اذا زنيا الشيخ والشيخة فارجموهما البتّة، نكالاً من الله والله عزيز حكيم}، أو نحو ذلك، يقول عمر: (لولا أن يقول الناس إن عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي) راجع صحيح البخاري 4/ 152-153-115، وسنن الدارمي 2/179، وصحيح مسلم 5/116، ومسند أحمد 1/23-29-36-40-43-50-55، وج5 ص132 -183، وحقائق هامة ص346، وغيرها الكثير.

([4]) عن عائشة: (كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات)، ويقولون إن آية الرجم ورضاع الكبير كانت في صحيفة تحت سرير عائشة، فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلوا بموته، دخلت الداجن وأكلت تلك الصحيفة -كما تقول عائشة-، قال ابن عبد البر: (أنكر جماعة أزواج النبي(ص) على عائشة

رضاع الكبير، ولم تأخذ واحدة منهن بقولها في ذلك، وأنكر ذلك ايضا ابن مسعود على أبي موسى الأشعري، ولهذه الآية المزعومة قضيّة يذكرونها في كتبهم وملخصها: أن عائشة قد روت هذه الروايات لزوجات النبي محتجّة بها عليهن وهي أنه بعد نزول آية {ادعوهم لآبائهم} وجدت زوجة أبي حذيفة أن زوجها يتأذى من دخول سالم عليها وهي على غير استعداد، فرفعت أمرها الى رسول الله، فأمرها بإرضاعه خمس رضعات، وفي رواية عشر رضعات، ففعلت، فصارت يدخل عليها، وذهب ما في نفس أبي حذيفة، فكانت عائشة تأمر أخواتها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحبّت عائشة أن يراها ويدخل عليها إن كان كبيرًا خمس رضعات ثم يدخل عليها. وابت أم سلمة وسائر ازواج النبي أن يدخلن عليهن أحدًا بتلك الرضاعة حتى يرضع في المهد.. راجع صحيح مسلم 4/167-168؛ والترمذي 3/456؛ وحقائق هامة ص332 و335 و338 و339؛ وغيرها.

([5]) راجع صحيح مسلم 3/100؛ والترمذي 5/666؛ ومسند أحمد 5/131-132؛ وحقائق هامة 325 الى ص328؛ وغيرها.

([6]) راجع صحيح البخاري 3/144؛ ومسند أحمد ج5 ص129 -130، وتفسير القمّي 2/450 والإتقان 1/65-80-79؛ وحقائق هامّة ص376؛ وغيرها.

([7]) راجع البرهان في علوم القرآن 1/240- 235؛ وسنن البيهقي 2/42؛ والإتقان 1/59-60؛ والجامع لأحكام القرآن 1/54؛ وحقائق هامة ص192؛ وغيرها.

([8]) راجع الإتقان 2/25؛ والجامع لأحكام القرآن 14/13، والدرّ المنثور 5/180؛ ومستدرك الحاكم 4/359؛ ومسند أحمد 5/132.

وتقدّم ما يدل على ذلك في الدليل الخامس وفي الردّ عليه.

.

تتمة مقال = فصل الخطاب في الميزان

الدليل التاسع:

ما رواه الشيعة من أنّ أسماء الأئمة (عليهم السلام) قد كتبت في الكتب السماوية السابقة وقد حُذفت([1])، والمفروض أنها لا توجد في هذا القرآن المتداول أيضًا، فلا بد من أنها قد كانت موجودة ثم حذفت، إذ إن ما جرى في الأمم السابقة، لابد أن يجري في هذه الأمة أيضًا..

وقد عرفنا فيما سبق (في الردّ على الدليل الأول): بطلان أساس هذا الاستدلال، وقد قلنا: إنه لا ملازمة بين التحريف اللّفظي للكتب السابقة وبين التحريف اللفظي للقرآن، إذ يكفي تحريف معانيه، وحدوده.

الدليل العاشر:

روايات غير الشيعة، وقليل من روايات وردت في كتب الشيعة أيضًا حول اختلاف القراءات، والحديث المروي: أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف. أشهر من أن يذكر([2]).

ولكننا نقول: إن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف لا يصحّ، بل هو قد نزل على حرف واحد من عند الواحد، كما روي عن أئمّة أهل البيت «عليهم السلام»([3])..

كما أن حديث اختلاف القراءات، وإبدال بعض الكلمات بكلمات أخرى حديث ساقط، لأن ذلك من شأنه أن يحدث الخلل في النص القرآني، وهو يجعل اختيارات القرّاء وحيًا إلهيًا، ونصًا قرآنيًا، وهو أمر غير صحيح.

مع ملاحظة: أن نقل هذه القراءات في مواردها الخاصة لا تقوم به حجة، ولا يوجب علمًا، ولا عملاً..

نعم.. يمكن قبول القراءة حسب اختلاف اللهجات، وما عدا ذلك يدخل في دائرة التّفسير والتّأويل.. أو أنه مكذوب، ومختلق..

الدليل الحادي عشر:

روايات منسوبة إلى الشيعة تتحدث عن وقوع التّحريف في القرآن([4])، غير أنّنا أثبتنا -في كتابنا حقائق هامة- أن المقصود بها هو تحريف المعنى، لا اللفظ، (فراجع ص55 الى ص57).

الدليل الثاني عشر:

روايات كثيرة، ولها طرق كثيرة قد تصل بمجموعها إلى الألف، أو أكثر تتحدث عن آيات قد حرّفت في بعض مواردها..

ونقول:

أولاً: إن من يراجع هذه الروايات يجد: أن أكثرها يدخل في دائرة القراءات، أو التفسير أو التأويل، أو تدخل في دائرة القصور في القراءة لدى بعض الناس، أو أنها ناشئة عن الخطأ في النّسخ والكتابة لمصحف بعينه، أو لعدم وجود النقط والشكل، وما إلى ذلك..

ثانيًا: إن الألف رواية المشار إليها لا يصحّ الاستدلال بها من جهة أخرى أيضًا، وهي أن أكثر من 320 رواية منها رغم التكرار فيها، وفي طرقها.. تنتهي إلى السياري. الذي يقولون عنه: إنه فاسد المذهب، منحرف، غال، وملعون على لسان الإمام الصادق «عليه السلام»، وقد طعن به جميع الرجاليين الذين ذكروه..

وأكثر من 600 رواية أو طريق من الألف هي عبارة عن مكررات، والفرق بينها، إما من جهة نقلها من كتاب آخر، مع وحدة السند، أو من اختلاف الطريق.

وما عدا هذين القسمين، فإن أكثر من مئة حديث منها عبارة عن قراءات مختلفة، أكثرها عن الطبرسي في مجمع البيان، الذي يورد في الأكثر قراءات وأقوال غير الشيعة، كقتادة، ومجاهد، والسّدي، وعكرمة، وغيرهم.

وتبقى روايات يسيرة جدًا لا تستحق الذكر والالتفات، ولا يصح الاعتماد عليها في إثبات أمر كهذا([5]).

هذا كلّه عدا عن أن قسمًا من أخبار التحريف منقول عن علي بن أحمد الكوفي، الذي وصفه علماء الرجال: بأنّه كذّاب، فاسد المذهب([6]).

وثمّة قسم آخر منقول عن آخرين معروفين بالضعف، وبالانحراف، مثل:

يونس بن ظبيان، الذي ضعَّفه النجاشي، وقال عنه ابن الغضائري: «غال كذّاب، وضّاع للحديث»([7]).

ومُنَخّل بن جميل الكوفي، الذي يقولون عنه: إنه غال، منحرف، ضعيف، فاسد الرواية.

ومحمد بن حسن بن جمهور، وهو الآخر: غال فاسد المذهب، ضعيف الحديث..

وأمثال هؤلاء لا يصح الاعتماد على ما يروونه في أبسط المسائل الفرعية، فكيف بما يروونه في هذه المسألة الخطيرة جدًا؟! والتي هي من أعظم المسائل، وعليها يتوقف أمر الإيمان، ومصير الإسلام..

هذا.. ونحب أن نثير الانتباه إلى ضرورة دراسة الدواعي والأسباب التي دعت هؤلاء الغلاة، وفاسدي المذهب للقيام بهذا الدور الهدّام والخبيث.. الذي تقرّ به عيون الزنادقة، ويبتهج له مردة اليهود وغيرهم من القوى الكافرة..

ولسنا بحاجة إلى التذكير بأن الغلاة ليسوا من الشيعة، ولم يزل الشيعة يتجنّبونهم، ويظهرون إدانة نهجهم، ويعلنون للناس انحرافهم، فلا يصح نسبة ترهاتهم وأباطيلهم وكيدهم الخفي إلى الشيعة.

انتهى المقال

([1]) راجع الكافي 1/342 الى ص361؛ وتفسير القمي 1/11و211، و2/125.

([2]) نقل الكاتب في كتابه حقائق هامة ص177-178 عشرات المصادر لهذا الحديث، منها صحيح مسلم 2/202 الى ص204، وج3 ص146؛ ومسند أحمد 6/433 -463، معظمها من كتب السنّة وبعضها من كتب الشيعة، وقال: (ذكر ابن الجزري اسم عشرين صحابيًا كلهم روى هذا الحديث).

([3]) راجع الكافي 2/461؛ وتفسير البرهان 1/1؛ والوافي 5/272 -273؛ والوسائل ج4 هامش صفحة 822؛ وحقائق هامة ص178 -179.

([4]) روى في بصائر الدرجات ص413-414؛ والكافي 8/125؛ والبيان ص247: عن أبي جعفر (ع) قوله: (أما كتاب الله فحرّفوا)، وفي مقتل الحسين (ع) للخوارزمي أن الحسين (ع) قال يوم عاشوراء لجيش يزيد: (فإنما أنتم من طواغيت الأمة وشذّاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب، ومطفئي السنن..الخ)، وذكر السيد الخوئي (قده) في البيان ص246 الى ص248 عدّة روايات تتحدّث عن وقوع التحريف في القرآن، وراجع حقائق هامة ص54.

([5]) هذه الإحصائية مذكورة في كتاب أكذوبة تحريف القرآن للشيخ رسول جعفريان ص68 الى ص71 فراجع.

([6]) كما ذكر السيد الخوئي في البيان ص246.

([7]) راجع رجال النجاشي ص265.

الهوامش

* إستاذ في الحوزة العلمية وعالم محقق.

شبهة تحريف القرآن في كتاب الكافي

الشيخ أمين ترمس

الشيخ أمين ترمس*

إن كتاب الكافي تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكُلَيْنِيّ (ت/390هـ)، يُعتبر أقدم وأشمل وأهمّ جامع حديثي، ومصدر روائي عند الإمامية مما بقي ووصل إلينا من المصادر.

"فقد أمضى (رحمه الله) في تأليفه مدّة عشرين سنة عاكفًا على أصول أصحاب الأئمة (عليهم السلام) وكتبهم، يجمع بينها، وينتخب منها حتى اجتمع لديه منها الشيء الكثير، فهذّبها في أحسن تهذيب، ورتّبها في أجمل ترتيب، وبوّبها على حسب حاجة المكلَّف إليها، ولأجل ذلك قال عنه شيخ مشايخ الطائفة محمد بن محمد بن النعمان المفيد (رحمه الله): "إنه من أجلّ كتب الشيعة وأكثرها فائدة"، ووصفه الشهيد الأول (رحمه الله) بأنه: "لم يُعمَل للإمامية مثله""([1]).

فلهذا كلّه كان -وما زال- عُرضةً للطعن، وغرضًا للرمي، وهدفًا للمفترين، فشُنّت على المصنِّف والمصنَّف جملة حملات ظالمة، وأُشيع حولهما شبهات باطلة، منها: دعوى تحريف القرآن في روايات الكافي.

وقبل الدخول في البحث لا بدَّ من تعريف التحريف، لغةً واصطلاحًا:

أما في اللغة، فقد جاء بمعنى التغيير والتبديل، فقالوا: "تحريف الكلام تغييره عن مواضعه، والتحريف في القرآن والكلمة تغيير في الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها"([2]).

وأما في الاصطلاح: "فقد يطلق لفظ التحريف ويُراد منه عدّة معان على نحو الاشتراك، فبعضها واقع في القرآن باتفاق المسلمين، وبعضها لم يقع باتفاقهم أيضًا، وبعضها اختلفوا فيه.

وأهمّ هذه المعاني:

الأول: نقل الشيء عن موضعه، وتحويله إلى غيره.

ولا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله، فإنّ كلّ من فسّر القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه، فقد حرّفه، وترى كثيرًا من أهل البدع والمذاهب الفاسدة قد حرّفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم وأهوائهم.

وقد ورد المنع عن التحريف بهذا المعنى، وذمّ فاعله في عدّةٍ من الروايات.

الثاني: النقص أو الزيادة في الحروف، أو في الحركات مع حفظ القرآن وعدم ضياعه.

والتحريف بهذا المعنى واقع في القرآن قطعًا.

الثالث: النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين مع التحفّظ على نفس القرآن المُنزل.

والتحريف بهذا المعنى هو ما كان عليه جملة من المصاحف في صدر الإسلام قبل توحيدها.

الرابع: التحريف بالزيادة بمعنى أنّ بعض المصحف الذي بأيدينا ليس من الكلام المُنزل.

والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين، بل هو ممّا عُلِمَ بطلانه بالضرورة.

الخامس: التحريف بالنقيصة، بمعنى أن المصحف الذي بأيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السّماء، فقد ضاع بعضه عن النّاس.

والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف، فأثبته قومٌ، ونفاه آخرون"([3]).

عودٌ على بَدْء:

أعود فأقول: إنّ أهمَّ الدّعاوى التي سيقت في اتّهام الشيخ الكليني (رحمه الله) بالقول بتحريف القرآن، وأنّ الكافي مشتمل على جملة من روايات التحريف، ما قاله جملة من المتأخرين من كتّاب العامة، أمثال: محمد أبو زهرة، وموسى جار الله، وإحسان إلهي ظهير، بل بعضهم حكم على ثقة الإسلام الكليني بالكفر (والعياذ بالله) لإيراده تلك الروايات([4]).

وقبل عرض أهمّ ما تمسّكوا به ممّا توهموه دالاً على التحريف أشير إلى أمور:

الأول: الروايات التي يظهر منها القول بالتحريف، رواها جملة من كبار علماء السنّة، وبعضٌ من علماء الشيعة، بل ما هو موجود في مجامع الحديث والصّحاح عند السنّة أكثر بكثير كمًّا ونوعًا مما هو موجود عند الشيعة.

الثاني: لا يوجد عند الشيعة من الكتب والمصادر -سوى كتاب الله تعالى- ما هو صحيح مطلقًا، وأهمّ الجوامع الحديثية عندهم-الكتب الأربعة- "الكافي"، و"من لا يحضره الفقيه"، و"التهذيب"، و"الاستبصار"، وأهمّ هذه الأربعة "الكافي".

والشيعة لا يعتقدون صحّة جميع ما في كتاب الكافي، بل يناقشون في أحاديثه سندًا ومتنًا.

الثالث: من غير الإنصاف أن يُنسب إلى طائفة -أيّ طائفة كانت- قول أو رأي لم يذهب إليه منهم إلا أفراد قليلة جدًّا.

الرابع: لا يجوز أن ننسب إلى صاحب كتابٍ عقيدةً أو رأيًا لمجرد إيراده رواية أو روايات في موضوع معيّن قبل أن نطّلع على طريقة المؤلِّف في إيراده لتلك الروايات.

وأما أهم ما تمسّكوا به كدليل على تلك الادّعاءات:

ما أورده الشيخ الكليني في أصول الكافي في كتاب الحجّة:

وهو عدد من الروايات:

منها: ما في بابٍ أسماه (باب: لم يَجمَع القرآن كلّه إلا الأئمةُ عليهم السلام، وأنهم يعلمون علمه كلّه)، وفي هذا الباب ستة أحاديث.

أما عنوان الباب، فلا دلالة فيه على شيء من المدّعى، علمًا أن طريقة الشيخ الكليني في ذكر العناوين للأبواب في كتابه هي ضرورة انسجام تلك العناوين مع مضمون الأحاديث المدرجة تحتها.

وأما مقصوده من هذا العنوان -بحسب الظاهر- هو أن المصحف الموجود عند الناس ليس هو كالمصحف الذي عند الأئمة (عليهم السلام) من حيث الجمع وترتيب الآيات، والسّوَر بحسب النزول، والناسخ والمنسوخ، والتقديم والتأخير، والتفسير وغير ذلك، ويدلّ على هذا المعنى أمران:

(أ): ذيل عنوان الباب "أنهم يعلمون علمه كله" أي يعلمون جميع علوم القرآن الظاهر والباطن وغير ذلك، ويكون هذا الذيل حينئذٍ عطفًا تفسيريًا لصدر العنوان.

(ب): الأحاديث التي أوردها الشيخ الكليني في الباب، وهي كالتالي:

الحديث الأول: ما رواه بإسناده، عن جابر قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادّعى أحدٌ من النّاس أنه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام)([5]).

وجمعُ القرآن من قِبَل أمير المؤمنين (عليه السلام) -وأنّ له مصحفًا باسمه- أمر معروف بين المسلمين، ونقله العامة والخاصة([6]).

الحديث الثاني: ما رواه أيضا بإسناده، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: (ما يستطيع أحد أن يدّعي أن عنده جميع القرآن كلّه، ظاهره وباطنه غير الأوصياء)([7]).

لا يقال: إن ظاهر هذا الحديث يدلّ على التحريف في القرآن.

فإنه يقال في مقام الجواب: إن ملاحظة بعض الحديث -صدره- قد يُوهم بذلك إلا أن ذيله صريح ببطلان هذا الوهم، وأنّ عِلم القرآن بظاهره وباطنه لا يوجد عند أحد غير الأئمة (عليهم السلام).

هذا مضافًا إلى عدم تمامية سنده، وتفصيل ذلك لا يتناسب مع هذا البحث المختصر وإنما أكتفي بالإشارة مُرجئا التفصيل إلى محلّه إن شاء الله تعالى.

الحديث الثالث: ما رواه بإسناده، عن سَلَمة بن محرز قال: (سمعت أبا جعفر "عليه السلام" يقول: إنّ من عِلمِ ما أُوتينا تفسير القرآن وأحكامه، وعِلمِ تغيير الزمان وحدثانه، وإذا أراد الله بقوم خيرًا أسمعهم...)([8]).

وهذا الحديث كما هو واضح لا علاقة له بالتحريف لا من قريب ولا من بعيد، وإنّما هو صريح في أنّ عِلم الأئمة (عليهم السلام) لِما في القرآن وغيره هو من عند الله تبارك وتعالى.

والأحاديث الباقية في هذا الباب جميعها في هذا السياق.

ومن كلّ ما تقدّم يتّضح المقصود الحقيقي للشيخ الكليني (قده) في عنوان الباب.

يتبع =

([1]) ثلاثيات الكليني وقرب الإسناد ص 48.

([2]) ترتيب كتاب العين 1/369؛ لسان العرب 9/43؛ مجمع البحرين 5/37؛ تاج العروس 6/69.

([3]) البيان في تفسير القرآن ص197 - 200 (بتصرف واختصار).

([4]) الإمام زيد ص 351؛ الإمام الصادق ص327 فما بعد؛ الوشيعة ص23؛ الشيعة والسنّة ص136؛ ورجال الشيعة في الميزان للزرعي ص167.

([5]) الكافي 1/228 كتاب الحجة ب 35 ح1.

([6]) انظر الفهرست لابن النديم ص 41، والإتقان للسيوطي1/204، وتاريخ الخلفاء ص185، والمسائل السرورية للشيخ المفيد المطبوعة ضمن سلسلة مؤلفاته 7/79.

([7]) المصدر السابق 1/ 228 كتاب الحجة ب 35 ح2.

([8]) المصدر السابق 1/ 229 كتاب الحجة ب 35 ح 3.

.

تتمة مقال = شبهة تحريف القرآن الكريم

ومن العناوين البارزة في كتاب الكافي والتي كانت مَثار جدلٍ وبحثٍ وردٍ حول موضوع التحريف، هو ما ذكره الشيخ الكليني في كتاب الحجة -أيضًا- تحت عنوان: (باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية)([1])، وهذا الباب يُعتبر من الأبواب الطويلة، لاشتماله على ما يناهز المائة حديث، ولو سبرنا جميع الأحاديث فيه لوجدناها تنقسم إلى عدة أقسام:

فمنها: ما هو من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه:

مثل الحديث رقم1: رواه بإسناده عن سالم الحناط، قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ*بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}؟ قال: هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام).

ومثل الحديث رقم2: رواه بإسناده عن إسحاق بن عمار، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}، قال: (هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام).

وكما في حديث رقم 3 و4 و5 و6 و7 و9 و10 و11 و12 و13 وغيرها كثير كلها بهذا المعنى.

ومنها: ما هو ظاهر في التحريف، ولكن بالمعنى الثاني أو الثالث من المعاني المتقدمة للتحريف، والتي أشرتُ فيما تقدم إلى وقوع التحريف بهذين المعنيين، وعدم منافاتهما الاعتقاد بأنّ القرآن الذي نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو ما بين الدفتين من دون زيادة أو نقيصة فيه، كما في حديث: 8 و23 و31 و32 و47، وغيرها.

ومنها: ما لا علاقة له بأي معنى من معاني التحريف أصلاً.

ومن جملة ما استندوا إليه لإثبات مُدّعاهم جملة روايات أوردها الشيخ الكليني (رحمه الله) في كتاب فضل القرآن في باب النوادر([2])كحديث رقم 2 و12 و13 و16 و23 و28، وفي بابين من النوادر في كتاب الحجة([3])باب 45 حديث 2 وباب 108 ح3 و 4.

وباب النوادر في كُتب الحديث خُصّص للروايات التي فيها خلل في سندها أو متنها، وبملاحظة المعنى اللغوي لكلمة (النوادر) الذي هو بمعنى: "سَقَطَ، وشَذَّ، وخرج عن المعتاد"([4])، يتضّح المراد ويندفع الإيراد.

ومما يدلّ على استعمال المحدِّثين لهذه الكلمة بهذا المعنى ما قاله الشيخ المفيد (رحمه الله): "وأما ما تعلّق به أصحاب العدد في أن شهر رمضان لا يكون أقلّ من ثلاثين يومًا، فهي أحاديث شاذّة قد طعن نقّاد الآثار من الشيعة في سندها، وهي مُثبَتة في كتب الصيام في أبواب النوادر، والنوادر هي التي لا عمل عليها"([5]).

وقد تمسّك جماعة ممن يتتبّعون السَقَطات، ويبحثون عن الزلات، سالكين غير طريق الإنصاف، وهمَّهم إشاعة الخلاف، منهم إحسان إلهي ظهير([6]) ومحمد مال الله([7]) وعلي بن عمر فريج([8])، تمسّكوا بحديث هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن القرآن الذي جاء به جبرائيل "عليه السلام" إلى محمد "صلى الله عليه وآله" سبعة عشر ألف آية)([9]).

مع أن الموجود في القرآن الذي بين أيدينا لا يبلغ السبعة آلاف آية.

أقول:

أولاً: إن هذا الحديث أورده الشيخ الكليني في باب (النوادر) التي تقدم ذكرها آنفًا.

ثانيا: إن نُسخ الكافي مختلفة في لفظ هذا الحديث، ففي بعضها كما تقدم، وفي نسخ أُخر (سبعة آلاف آية) كالتي كانت عند صاحب الوافي المولى محمد محسن "الفيض الكاشاني"، وقد جزم المحقّق الخبير المولى أبو الحسن الشعراني في تعليقته على شرح الكافي للمولى صالح المازندراني بأن لفظة (عشر) من زيادة النُسّاخ أو الرّواة، وحينئذٍ يكون ظاهر الحديث غير ناظر إلى إحصاء عدد الآيات، بل يكون ذلك من باب إطلاق العدد التام المتناسب مع الواقع بعد حذف الكسور أو تتميمها كما هي العادة والمتعارف في الاستعمال من باب التسامح بعد عدم تعلق الغرض بذكر الكسر الناقص أو الزائد([10]).

والحاصل من جميع ما تقدم: أن من ادّعى تحريف القرآن في الكافي، فقد اعتمد إما على روايات غير صريحة بل غير ظاهرة، وإما لا دلالة فيها أصلاً على المدَّعى، وإما هي من باب التفسير أو التأويل، أو بيان شأن النزول، أو تعيّن مصداق من أبرز المصاديق وأجلاها للآية، أو أنه من باب الشرح المزجي الذي كان متعارفًا عند السلف قديمًا لتوضيح بعض الآيات التي تحتاج إلى ذلك.

وإما أوردها الشيخ الكليني (رحمه الله) في أبواب (النوادر) إيرادًا لها فقط لا اعتقادًا بها.

وإما التحريف فيها بالمعنى الثاني أو الثالث من المعاني المتقدمة له أو ما يشبههما.

وإما لا اعتبار بها سندًا لوجود راوٍ أو أكثر ممن نصّ أصحاب الجرح والتعديل على ضعفه وذمّه، وأكثر تلك الروايات التي ذكروها وتمسّكوا بها لإثبات ادَّعاءاتهم ضعيفة السند.

ثم صحيحٌ أن الشيخ الكليني (رحمه الله) أورد هذه الروايات ولم يُعلّق عليها بشيء، ولكن ممّا تقدّم ومن الاطّلاع على طريقة الشيخ الكليني من عدم تعليقه على الأحاديث إلا نادرًا جدًّا، ومن ملاحظة ما قاله في المقدمة، يتضح مقصوده ويتبين مراده.

قال في خطبة كتابه الكافي: ".. فاعلم يا أخي أرشدك الله أنه لا يَسع أحدًا تمييز شيء مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه إلا على ما أطلقه العالِم بقوله عليه السلام: "اعرضوها على كتاب الله فما وافى كتاب الله عز وجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه"... وقوله عليه السلام: "خذوا بالمُجمع عليه، فإن المُجمع عليه لا ريب فيه" ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلا أقلّه، ولا نجد شيئًا أحوط ولا أوسع من ردّ علم ذلك كله إلى العالِم (عليه السلام) وقبول ما وُسِّع من الأمر فيه بقوله (عليه السلام): "بأيّما أخذتم من باب التسليم وسعكم") ([11]).

فما دام مذهبه (رحمه الله) هو عرض الروايات المختلفة على كتاب الله تبارك وتعالى فيأخذ بالموافق، ويردّ المخالف، ويعتمد هذا القول بشكل مطلق، ويدعو إليه السائل ومِن ورائه مَن كتب الكافي لهم طيلة عشرين سنة، فكيف يتجرّأ ذو لبّ أو من لديه شيء من الإنصاف وينسب إليه التحريف، وهل يلتقي القول بالتحريف مع العرض على القرآن الكريم؟! {فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}([12]).

وأختم بكلامٍ مهمّ نقله الشيخ محمد هادي معرفة عن السيد الشهرستاني الكبير (رحمه الله) في رسالة له وضعها دحضًا لشبهة القائل بالتحريف، قال:

"إنّما تستقيم نسبة عقيدة التحريف إلى هؤلاء الأجلاء إذا ما تجمّعت هناك مقدّمات أربعة ضرورية:

أُولاها: تعهّد صاحب الكتاب بصحة ما يرويه على الإطلاق تعهدًا صريحًا وشاملاً.

ثانيتها: ظهور تِلكُم الأحاديث في التحريف ظهورًا بيّنًا بحيث لا يحتمل تأويلاً أو محامل أُخر معتمدة على شواهد من عقل أو نقل متواتر.

ثالثتها: عدم وجود معارض لها بحيث يترجَّح عليها حسب نظر صاحب الكتاب.

رابعتها: حجية خبر الواحد عند صاحب الكتاب كما هو حجة عند الأخباريين في مسائل الأصول والفروع على السواء"([13]).

انتهى

([1]) المصدر السابق 1/ 412 كتاب الحجة ب 109.

([2]) الكافي 2/627 كتاب فضل القرآن ب 14(النوادر).

([3]) المصدر السابق1/256و412.

([4]) ينظر: الصحاح2/825، والعين 8/21، ولسان العرب5/199.

([5]) جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية المطبوع ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد:9/19، ولمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع يراجع كتاب "بحوث حول روايات الكافي" ص94 فما بعد.

([6]) الشيعة والقرآن ص31، والشيعة والسنة ص 80.

([7]) الشيعة وتحريف القرآن ص 63.

([8]) الشيعة في التصور القرآني ص24.

([9]) الكافي 2/634 كتاب فضل القرآن باب 14 ح28.

([10]) نقلا عن كتاب صيانة القرآن من التحريف: ص 264 (بتصرف يسير).

([11]) الكافي 8/1-9.

([12]) يونس من الآية 35.

([13]) صيانة القرآن من التحريف: ص 104.

الهوامش

* مبلّغ ديني ومدرّس في الحوزة العلمية.

مصحفنا الفعلي هو نسخة علي(ع)

الشيخ علي كوراني

مصحفنا الفعلي.. نسخة علي (عليه السلام)

الشيخ علي كوراني *

مما امتازت به هذه الأمة المرحومة عن غيرها من الأمم نصُّ كتاب الله عزّ وجلّ، حيث لا يوجد على وجه الأرض كتابٌ سماويٌّ محفوظُ النسخةِ جيلاً عن جيل، وحرفًا بحرف، غير القرآن!

أما الأحاديث التي تُوهِم وقوع التحريف فيه، في هذا المصدر أو ذاك فليس لها قيمة علمية ولا عملية، حتى لو كانت أسانيدها صحيحة.. ذلك أن الله تعالى قد تكفَّل بحفظ كتابه بقوة نصّه الذاتية، ثم بالمحافظين عليه (عليهم السلام).

إن القرآن كلام الله تعالى.. وهي حقيقة يقف عندها الذهن لاستيعابها، ويتفكر فيها العقل لإدراك أبعادها، ويخشع لها القلب لجلالها. وهي تعني فيما تعني أنه عز وجل قد انتقى معاني القرآن وألفاظه، وصاغها بعلمه وقدرته وحكمته. وهي حقيقة تُفاجئ كل منصف يقرأ القرآن، فيجد نفسه أمام متكلم فوق البشر، وأفكارٍ أعلى من أفكارهم، وألفاظٍ لا يتمكن إنسان أن ينتقيها أو يصوغها!

يجد أن نص القرآن متميزٌ عن كل ما قرأ وما سمع! وكفى بذلك دليلاً على سلامته عن تحريف المحرّفين وتشكيك المشكّكين! إن القوة الذاتية لنص القرآن هي أقوى سندٍ لنسبته إلى الله تعالى، وأقوى ضمان لإباءِ نسيجِه عما سواه، ونفيه ما ليس منه! فقد جعل الله هذا القرآن أشبه بطبقٍ من الجواهر الفريدة، إذا وضع بينها غيرها انفضح! وإذا أخذ منها شيء إلى مكان آخر، نادى بغربته حتى يرجع إلى طبقه!

وعندما يتكفَّل الله عز وجل بحفظ شيء أو بعمل شيء، فإن له طرقه وأساليبه ووسائله في ذلك، وليس من الضروري أن نعرفها نحن، ولا أن تفهمها أكبر عقولنا الرياضية! فحِفْظُ الله تبارك وتعالى لكتابه، كأفعاله الأخرى لها وسائلها وجنودها وقوانينها! ومن أول قوانينها: قوة بناء القرآن، وتفرّده، وتعاليه على جميع أنواع كلام البشر، الماضي منه والآتي!

بل تدل الآيات الشريفة على أن بناء القرآن أتقنه الله تعالى بدقّة متناهية وإعجاز كبناء السماء!

قال الله تعالى: **{**فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**}** الواقعة:75-77..

والتناسب بين المُقسَم به والمُقسَم عليه الذي تراه دائمًا حاضرًا في القرآن، يدل على التشابه في حكمة البناء ودقّته بين سُوَر القرآن وآياته وكلماته وحروفه، وبناء مجرَّات السماء ومواقع نجومها!

وإلى اليوم لم يكتشف العلماء من بناء الكون إلا القليل، وكلما اكتشفوا جديدًا خضعت أعناقهم لبانيه عز وجل! وكذلك لم يكتشفوا من بناء القرآن إلا القليل، وكلما اكتشفوا منه جديدًا خضعت أعناقهم لبانيه عز وجل!

كما أن التاريخ لم يعرف أمّة اهتمَّت بحفظ كتاب وضبطه، والتأليف حول سوره وآياته، وكلماته وحروفه، فضلاً عن معانيه، كما اهتمَّت أمّة الإسلام بالقرآن. وهذا سند ضخم، رواته الحفّاظ والقرّاء والعلماء وجماهير الأجيال سندًا متصلاً جيلاً عن جيل إلى جيل السماع من فمِ الذي أنزله الله على قلبه (صلى الله عليه وآله)! ولكن سند القرآن الأعظم هو قوته الذاتية ومعماريَّته الفريدة!

هذا هو اعتقاد المسلمين بالقرآن سواءً منهم الشيعة والسنة، وسواء استطاع علماؤهم وأدباؤهم أن يعبِّروا عنه، أم بقي حقائق تعيش في عقولهم وقلوبهم وإن عجزت عنها ألسنتهم وأقلامهم!

ولا يحتاج الأمر إلى أن ينبري كتَّاب آخر الزمان فينصحوا الشيعة بضرورة الإيمان بكتاب الله تعالى وسلامته من التحريف! فنحن الشيعة نفتخر بأن اعتقادنا بالقرآن راسخ، ورؤيتنا له صافية، ونظرياتنا حوله واضحة، لأنها مأخوذة من منبع واضح صافٍ، منبع أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)، وباب مدينة علمه!

وإذا كانت بعض المصادر الشيعية فيها ما يخالف ذلك، فإن المصادر السُنِّيَة فيها أكثر وأعظم!!

والذين يتصورون أنها مشكلة خاصة بمصادر الشيعة متوهِّمون.

النسخة الأمّ التي دوّنوا عنها المصحف الإمام، المعروف بمصحف عثمان؟

توجد أربعة احتمالات للنسخة الأمّ التي أملى منها سعيد بن العاص المصحف على زيد بن ثابت وغيره من الكتاب:

الاحتمال الأول: أن تكون صحف حفصة، أي نسخة عمر التي جمعها هو وزيد في عهد أبي بكر ثم في عهده.. كما ذكرت أكثر الروايات في مصادر السنِّيِّين.

الاحتمال الثاني: أن تكون نسخة عائشة، كما ذكرت بعض الروايات.

الاحتمال الثالث: أن تكون نسخة علي (عليه السلام)، كما يُفهم من صفات النسخة.

الاحتمال الرابع: أن يكون سعيد، أو هو وبقية أعضاء اللجنة رأوا عدة نسخ وقايسوا بينها وناقشوا فروقاتها واستمعوا إلى شهودها، ثم راجعوا عثمان وعليًا (عليه السلام) وغيرهما من الصحابة الخبيرين بالقرآن، واختاروا الكلمة أو الصيغة الأكثر وثوقًا عندهم، كما يُفهم من بعض الروايات.. وفيما يلي نفحص ما يملكه كل واحد من هذه

الاحتمالات.

لم يكتبوا المصحف الإمام عن صحف حفصة أو نسخة عمر:

كان توحيد عثمان لنسخة القرآن عملية جراحية لمرض حدث في الأمة حيث اختلف المسلمون في قراءات القرآن، وانقسموا إلى أحزاب دينية متعارضة! وقد كان بعض الأشخاص يعيشون على هذه الاختلافات والتعصّبات، فلما قام عثمان بجمع القرآن، سحب البساط من تحت أقدامهم فأُسقط في أيديهم، وفقدوا مكانتهم وجمهورهم! لقد صارت قراءتهم مثل غيرها، وصاروا هم مثل غيرهم.

وانتهى عهد الأحرف السبعة الذي بدأه عمر، وصار على الجميع أن يقرأوا بحرف واحد هو حرف عثمان في المصحف الإمام!

لهذا ارتفعت اعتراضات زعماء الأحرف السبعة أو الأحرف العشرين وجمهورهم، وكان سلاحهم ضد عثمان وضد حذيفة، هو الأحرف السبعة التي سلَّحهم بها عمر!

وكان الجواب المنطقي للدولة أن تقول لهم: إن عمر أخطأ في طرح الأحرف السبعة، فهذا الواقع الخطير الذي نعانيه إنما هو ثمرتها، ولو تركناه بلا معالجة جذرية لاختلفت الأمة في كتابها إلى فرق ومذاهب متناحرة إلى يوم القيامة! ولكن الناس كانوا متعلقين بسياسة عمر، وقد سجَّلوا نقاط ضعفٍ على سياسة عثمان. لذلك لم يستطع عثمان أن يُخطِّئ عمر، بل كان يرى نفسه محتاجًا لإثبات (الشرعية) لأعماله بالاحتجاج بأعمال عمر وأقواله! لهذا نراه يحتجّ على المعترضين أولاً: بأن عمر كان ينوي توحيد القرآن. وثانيًا: بأنه كتب مصحفه الإمام عن نسخة عمر أو الصحف التي عند بنته حفصة!

لهذا يجب أن ننظر إلى الروايات التي تقول إنهم نسخوا المصحف الإمام عن صحف حفصة بأنها كلام سياسي للدفاع عن عثمان، وليس بالضرورة أن يكون هو الذي حصل! وكذلك كثير من دفاعات عثمان عن نفسه فيما خالف فيه عمر، كما يظهر للمتتبِّع!

قال ابن شبة في تاريخ المدينة: 3/1136:

[حدثنا علي بن محمد، عن يزيد بن عياض، عن الوليد بن سعيد، عن عروة بن الزبير قال:

قدم المصريون، فلقوا عثمان رضي الله عنه. فقال: ما الذي تنقمون؟ قالوا: تمزيق المصاحف.

قال: إن الناس لمَّا اختلفوا في القراءة خشي عمر رضي الله عنه الفتنة. فقال: من أعرب الناس؟

فقالوا: سعيد بن العاص. قال: فمن أخطهم؟ قالوا: زيد بن ثابت. فأمر بمصحف فكُتب بإعراب سعيد وخط زيد، فجمع الناس ثم قرأه عليهم بالموسم. فلما كان حديثًا كتب إلى حذيفة: إن الرجل يلقى الرجل فيقول: قرآني أفضل من قرآنك حتى يكاد أحدهما يكفِّر صاحبه، فلما رأيت ذلك أمرت الناس بقراءة المصحف الذي كتبه عمر رضي الله عنه وهو هذا المصحف، وأمرتهم بترك ما سواه، وما صنع الله بكم خير مما أردتم لأنفسكم]. انتهى.

والجميع يعرفون أن عمر لم يقم بهذا العمل، ولم يقرأ على المسلمين قرآنًا في موسم الحج!

يتبع=

.

تتمة مقال = مصحفنا الفعلي.. نسخة علي (ع)

وقال ابن شبة في: 3/1005:

[عن توبة بن أبي فاختة، عن أبيه قال: بعث عثمان رضي الله عنه إلى عبد الله أن يدفع المصحف إليه، قال: ولِمَ؟ قال: لأنه كتب القرآن على حرف زيد. قال: أما أن أعطيه المصحف فلن أعطيكموه، ومن استطاع أن يغلَّ شيئًا فليفعل، والله لقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، وإن زيدًا لذو ذؤابتين يلعب بالمدينة!]. انتهى.

ولم يَدَّعِ أحد غير عثمان وابن مسعود - خصم زيد بن ثابت - بأن قرآن عثمان كُتب على حرف زيد، ولكن غرض ابن مسعود من ادّعاء ذلك أن يبرِّر تمَسُّكه بقراءته، وغرض عثمان من ذلك إن كان قاله، أن يُسكِت المعترضين لعمر، لأنهم يعرفون ثقة عمر بزيد!

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: 2/426:

[الواقدي: حدثنا الضَّحّاك بن عثمان، عن الزهري، قال: قال ثعلبة بن أبي مالك: سمعت عثمان يقول: من يعذرني من ابن مسعود؟ غضب إذ لم أوَلِّه نسخ المصاحف! هلاّ غضب على أبي بكر وعمر إذ عزلاه عن ذلك وولَّيَا زيدًا، فاتَّبعت فعلهما!]. انتهى.

والجميع يعرف أن أبا بكر وعمر لم يولِّيَا ابن مسعود على نسخ المصاحف حتى يعزلاه، ولا ولَّيَا زيدًا إلا على جمع القرآن مع عمر وبرأيه، ولكن عثمان يريد الدفاع عن نفسه وإثبات أن سياسته نفس سياسة الشيخين التي يريدها الناس!

هذا هو الدليل الأول..

والدليل الثاني: أن قراءات عمر التي كانت في نسخته التي عند حفصة لا توجد في المصحف الإمام، وقد روتها عنه أحاديث صحيحة كالبخاري، وكان يأمر بإثباتها في المصاحف ومحوِ ما عداها، مثل قراءة: صراط من أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم وغير الضالين، وامضوا إلى ذكر الله.. وغيرها، وغيرها..

قال البخاري في صحيحه: 6/63: [وقرأ عمر: فامضوا إلى ذكر الله]، راجع الدر المنثور للسيوطي: 1/15 فإنك لا تجد لها أثرًا في قرآننا الفعلي الذي هو المصحف الإمام، والحمد لله.

والدليل الثالث: إصرار الدولة على مصادرة مصحف حفصة وإحراقه. ولا يمكن أن يكون سبب ذلك إلا أن حفصة أو غيرها.. أشاعوا أن مصحف عثمان.. فيه نقص أو خلل.. الأمر الذي جعل الدولة تُلِحُّ على أخذ النسخة. ولكن حفصة وقفت في وجه الدولة وقاومت إلى أن توفيت.. لكن الدولة ما أن فرغت من تشييع جنازة حفصة حتى وضعت يدها على النسخة وأحرقتها! فلو كان المصحف الإمام نسخة عن مصحف عمر، لما استطاعت حفصة أو غيرها أن تتكلم بكلمة، ولما كان معنى لإصرار الدولة وافتعالها أزمة طالت أكثر من عشرين سنة مع حفصة القوية بنت الخليفة القوي!!

قال في كنز العمال: 2/573: [عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله وخارجة، أن أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك، فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل. فكانت الكتب عند أبي بكر حتى توفي، ثم عند عمر حتى توفي، ثم كانت عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليها عثمان فأبت أن تدفعها، حتى عاهدها لَيَرُدَّنها إليها فبعثت بها إليه، فنسخها عثمان هذه المصاحف، ثم ردَّها إليها فلم تزل عندها. قال الزهري: أخبرني سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتب فيها القرآن، فتأبى حفصة أن تعطيه إياها، فلما تُوفِّيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسل إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشققت، وقال مروان: إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذا المصحف مرتاب، أو يقول إنه قد كان فيها شيء لم يكتب - ابن أبي داود].انتهى.

والمتأمل في هذه الرواية يطمئن بأن مصحف عمر كان فيه زيادة عن مصحفنا، كما صرَّح أبو موسى الأشعري عن مصحفه!

وقال عمر بن شبة في تاريخ المدينة: 3/1003: [عن ابن شهاب قال: حدثني أنس رضي الله عنه، قال: لما كان مروان أمير المدينة، أرسل إلى حفصة يسألها عن المصاحف ليمزقها وخشي أن يخالف الكتاب بعضه بعضًا، فَمَنَعَتْها إياه.. لما ماتت حفصة أرسل مروان إلى عبد الله بن عمر بعزيمة، فأعطاه إياها، فغسلها غسلاً. فساعة رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها ابن عمر، فشققها ومزِّقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك خلاف لما نسخ عثمان!].

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: 7/156: (باب ما جاء في المصحف): [عن سالم بن مروان، كان يرسل إلى حفصة يسألها عن المصحف الذي نسخ منه القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياه، فلما دفَنَّا حفصة أرسل مروان إلى ابن عمر: أرسل إليّ بذلك المصحف، فأرسله إليه! رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح]. انتهى.

بل إن أزمة الدولة مع حفصة وإصرار حفصة الشديد! توجب أن نُكذِّب ما يقال من أنها أعطتهم النسخة أول الأمر، ولذلك شاع في المدينة أن مصحف عثمان لم يكتبوه عن مصحف عمر، وأن في مصحف عمر زيادات لم يكتبوها في القرآن!

الدليل الرابع: أن حفصة نفسها لم تكن تقرأ بمصحف أبيها الذي هو عندها أو عنده لا فرق، بل استكتبت لنفسها مصحفًا متداولاً! كما في مجمع الزوائد: 6/320 و: 7/154.

إن كل المؤشرات بل والأدلة تدلُّنا على أن مصحف عمر كان مشروع مصحف يحمل اجتهادات عمر المتجددة، وكان ينتظر أن يكتمل عمله فينشره.. ولكن الأجل عاجله، ثم عاجل مروان نسخته فأحرقها!.

ولم يكتبوا المصحف الإمام عن مصحف عائشة:

تفاجؤنا في روايات جمع القرآن وثيقة تاريخية مهمة وسارّة، يقول فيها عثمان إن لجنة جمع القرآن كتبت المصحف الإمام عن مصحف كتبه النبي (صلى الله عليه وآله)! وقد أعلن عثمان ذلك في رسالته إلى الأمصار التي أرسلها مع المصاحف!

قال عمر بن شبة في تاريخ المدينة: 3/997: [عن أبي محمد القرشي: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب إلى الأمصار: أما بعد فإن نفرًا من أهل الأمصار اجتمعوا عندي فتدارسوا القرآن، فاختلفوا اختلافًا شديدًا، فقال بعضهم قرأت على أبي الدرداء، وقال بعضهم قرأت على حرف عبد الله بن مسعود، وقال بعضهم قرأت على حرف عبد الله بن قيس. فلما سمعت اختلافهم في القرآن والعهد برسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ورأيت أمرًا منكرًا، فأشفقت على هذه الأمة من اختلافهم في القرآن، وخشيت أن يختلفوا في دينهم بعد ذهاب من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قرأوا القرآن على عهده وسمعوه من فيه، كما اختلفت النصارى في الإنجيل بعد ذهاب عيسى بن مريم، وأحببت أن نتدارك من ذلك.

فأرسلت إلى عائشة أم المؤمنين أن ترسل إليّ بالأدم الذي فيه القرآن الذي كتب عن فم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أوحاه الله إلى جبريل، وأوحاه جبريل إلى محمد وأنزله عليه، وإذا القرآن غضٌّ، فأمرت زيد بن ثابت أن يقوم على ذلك، ولم أفرغ لذلك من أجل أمور الناس والقضاء بين الناس، وكان زيد بن ثابت أحفظنا للقرآن، ثم دعوت نفرًا من كُتَّاب أهل المدينة وذوي عقولهم، منهم نافع بن طريف، وعبد الله بن الوليد الخزاعي، وعبد الرحمن بن أبي لبابة، فأمرتهم أن ينسخوا من ذلك الأدم أربعة مصاحف وأن يتحفظوا]. انتهى.

كما أكَّد على ذلك عبد الله بن الزبير الذي كان عضوًا في لجنة جمع القرآن.

وقال عبد الله بن الزبير كما في ج 3 ص 991: [فجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، ثم بعثني إلى عائشة رضي الله عنها فجئت بالصحف التي كتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فعرضناها عليها حتى قوَّمناها، ثم أمر بسائرها فشققت]. انتهى.

فما عدا مما بدا.. حتى صار القرآن مدوَّنًا في مصحف كامل من عهد النبي (صلى الله عليه وآله)؟! وأين وسائل الكتابة البدائية من [العسب والرقاق واللخاف وصدور الرجال] والمأساة التي يرويها البخاري؟!

وأين جلوس الإستعطاء على باب المسجد لتجميع الآيات والسُوَر من المسلمين؟! وأين قصة جمع القرآن على يد أبي بكر وعمر؟! وأين عشرات الروايات وعشرات النظريات؟! والتاريخ الذي بنوه عليها.. إلى آخر الأسئلة الكبيرة؟!

على أي حال.. إن الذي يهمنا الآن هو النتيجة التي تقول إن المصحف الإمام كتب عن نسخة مكتوبة في عهد النبي وتحت نظره (صلى الله عليه وآله) وذلك نعمة عظيمة يجب أن نشكر الله تعالى عليها.. ولتسقط كل الروايات المخالفة لها، وليكن ما يكون!

يتبع =

.

تتمة مقال = مصحفنا الفعلي.. نسخة علي (ع)

قرآننا الفعلي هو نسخة علي بن أبي طالب (عليه السلام):

والحمد لله أن كل المؤشرات تدل على صحة ذلك. ومن أوَّلِها أن أوصاف المصاحف التي كانت موجودة عند تدوين المصحف الإمام لا تنطبق عليه، ولا على مصحف عبد الله بن مسعود، ولا على مصحف أُبَيٍّ بن كعب، ولا على مصحف أبي موسى الأشعري، ولا على مصحف عمر، ولا على مصحف زيد بن ثابت..

بل يكفي أن نرجع إلى عدد السُوَر والقراءات التي ذُكرت في مصاحفهم لنرى أنها تختلف عن عدد سور مصحفنا الفعلي.. إلا مصحف علي (عليه السلام)!

وحتى قراءة عثمان لا تنطبق عليها النسخة الفعلية إذا صح أن عثمان كان له اعتراض على عدد من جمل أو كلمات المصحف الذي كتبته اللجنة!

فقد قال في كنز العمال: 2/586:

[- عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي قال: لما فُرغ من المصحف أُتي به عثمان فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى شيئًا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها، (أخرجه ابن أبي داود وابن الأنباري).

- وعن قتادة: أن عثمان لما رُفع إليه المصحف قال: إن فيه لحنًا وستقيمه العرب بألسنتها. (ابن أبي داود وابن الأنباري).

- وعن قتادة عن نصر بن عاصم الليثى عن عبد الله بن فطيمة عن يحيى بن يعمر قال: قال عثمان: إن في القرآن لحنًا وستقيمه العرب بألسنتها! (ابن أبي داود).

- وعن عكرمة قال: لما أُتي عثمان بالمصحف رأى فيه شيئًا من لحن، فقال: لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا (ابن الأنباري وابن أبي داود)] انتهى.

والحمد لله أنه لم يكن في المصحف الإمام لحن ولا خطأ! وما أقامت العرب (لحنه) بألسنتها!

بل قَوَّم هو ألسنة العرب وأقام لحنها، لأنه كما وصفه عثمان: [القرآن الذي كُتب عن فم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أوحاه الله إلى جبريل، وأوحاه جبريل إلى محمد وأنزله عليه، وإذا القرآن غضّ...]انتهى. وانتهى الأمر!

يبقى هنا سؤال هام: وهو أنه لم يُعرَف عن أمِّ المؤمنين عائشة أنها كانت تملك هذه الثروة العظيمة.. ولو كانت عندها لحدَّثت عنها عشرات الأحاديث، قبل كتابة المصحف الإمام عنها وبعده، وهي التي تحدَّثت عن كل ما يرتبط بها من النبي (صلى الله عليه وآله) حتى في الأمور الشخصية، وافتخرت بكل ما يمكن أن يكون حظوة لها عند النبي (صلى الله عليه وآله)، أو أثرًا منه عندها؟!

ولو كانت عندها لحلَّت بها مشكلة أبيها وعمر المزعومة، في البحث عن سُوَر القرآن وجمعه!!

والجواب: نعم هذا صحيح، وأحاديث عائشة تنفي أن تكون عندها مثل هذه النسخة..

فلو كانت عندها لاشتهرت، ولاحتجَّت بها على نساء النبي (صلى الله عليه وآله) عندما خالَفْنها في مسألة رضاع الكبير، وفي مسألة كفاية خمس رضعات.. ثم لو كانت نسخة القرآن عند عائشة لما استكتبت نسخة من القرآن المتداول.. كما في رواية مسلم: 2/112: [عن أبي يونس مولى عائشة، أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفًا وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني، حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، فلما بلغتها، آذنتها، فأملت عليَّ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين]. انتهى.

ما الحقيقة إذن؟ هل نستطيع القول إن عثمان يكذب في ادعائه أن اللجنة كتبت المصحف الإمام عن مصحف غض كُتب بإملاء النبي (صلى الله عليه وآله)؟!

كلاً.. فليس للخليفة مصلحة في إخبار أهل الأمصار بذلك، إلا أنه يريد أن يطمئنهم ويفتخر لهم بثقته بالنسخة التي كتب عنها القرآن.. وقرائن وصفه للنسخة وثقته بها تأبى أن يكون قوله افتراء!

كل ما في الأمر أنها نسخة علي (عليه السلام)، وقد أراد عثمان أن يبتعد عن حساسيتهم من عليٍّ.. فنسبها إلى عائشة، ولعله أشرك عبد الله بن الزبير ابن أخت عائشة في اللجنة وأرسله إليها وأحضر نسخة مصحفها العادية، لكي ينسب التدوين إليها!!

أرانا ملزَمين بهذه الفرضية، لأنها تملك مؤيدات كثيرة، ولأن كل فرضية أخرى للنسخة الأم تواجهها مضعِّفات كثيرة! ولا بد أن نستذكر هنا أن وجود سعيد بن العاص في مشروع تدوين المصحف الإمام بصفته مُعرِّبًا ومُمليًا للمصحف، وبصفته أَمَويًّا من أقارب الخليفة، ومن أسرة موالية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام).. ووجود حذيفة الذي له مكانة مميزة بين الصحابة، بصفته رائد مشروع توحيد القرآن، ومن خاصَّة أصحاب علي (عليه السلام).. يجعل لمصحف عليٍّ في اللجنة أسهمًا وافرة في أن تكون نسخته هي النسخة الأم التي كتب عنها المصحف الإمام.

وقد روى الشيعة والسنة أن عليًا (عليه السلام)، كتب نسخة القرآن على أثر وفاة النبي (صلى الله عليه وآله).

وروى في كنز العمال: 13/127: [عن محمد بن سيرين، قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أقسم عليّ أن لا يرتدي برداء إلا الجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل. ابن أبي داود في المصاحف]. (ونحوه ابن أبي شيبة في مصنفه: 7/197)

وقال ابن أبي شيبة في مصنفه: 7/204: [عن ابن جريج، وعن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: القراءة التي عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرأها الناس اليوم فيه]. انتهى.

ومن الذي عرض على النبي (صلى الله عليه وآله) نسخته قبيل وفاته، غير علي (عليه السلام)؟! بل لم يدَّع ذلك أحد من المسلمين غيره! وكفى بذلك دليلاً شرعيًا!

ثم إن من المعروف أن مصحفنا الفعلي الذي جمعه عثمان، بقراءة عاصم، التي هي قراءة علي (عليه السلام)!

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: 2/426: [حفص، عن عاصم، عن أبي عبد الرحمن قال: لم أخالف عليًا في شيء من قراءته، وكنت أجمع حروف علي، فألقى بها زيدًا في المواسم بالمدينة، فما اختلفنا إلا في التابوت. كان زيد يقرأ بالهاء، وعليّ بالتاء].انتهى.

وهذه الرواية تكشف أن الذي صحَّح [التابوت] وجعله بالتاء هو علي (عليه السلام)! وأن زيدًا بقي يقرؤها بالهاء إلى آخر عمره!

انتهى

الهوامش

* مفكر إسلامي وباحث في شؤون العقيدة.

دخالة العقل في الدلالة على الحكم الشرعي

الشيخ مفيد الفقيه

الشيخ مفيد الفقيه *

بعد إيماننا بالله - تعالى - وبشريعته وصلاحها، وجب علينا بحكم العقل إطاعته - سبحانه - بتطبيق أحكام هذه الشريعة، لأن الله - تعالى - العالم بكل شيء وبجميع المصالح والمفاسد قد وضع أحكامًا لكل أفعال الإنسان على طِبْق الملاكات والمصالح التي يعلمها، ولذلك لا يمكن افتراض خلوّ واقعةٍ أو فعلٍ من أفعال الإنسان عن حُكْم من قِبَل الشارع، إما بنحو النص وإما بالقواعد العامّة المنطبقة على مواردها، اقتضاءً أو تخييرًا.

وحيث إن هذه الأحكام لم تكن كلّها واضحةً بالنسبة إلينا وضوحًا بديهيًا، للبُعْد عن عصر النصوص من جهة، ولكثرة الدسّ والاختلاف من جهة أخرى، كان لا بد من اتّباع طريق لرَفْع الغموض عن الموقف العملي للإنسان، وهو [علم الفقه] الذي يحدّد الوظيفة العملية للمكلف بالدليل، إما بتعيين الحكم الشرعي بالدليل المحرز له من الكتاب والسنّة، وإما بتعيين الوظيفة العملية بعد غيابِ العلم بالحكم الشرعي، والشكِ فيه مع تعذّر رَفْع هذا الشك بدليل قطعي، والذي يحدد الوظيفة يسمى ب[الأصول العملية]، وهي أيضًا مأخوذة من الأدلة الشرعية.

وهناك قواعد عامّة يحتاجها الفقيه في علم الفقه، تساعد في عمليات الاستنباط بشكل أساسي، ولا بد من دراستها في علم الأصول، مثل حجيّة خبر الواحد، والإجماع، وحجية الظواهر، وحجيّة الدليل العقلي، ومقدار الحجية في كل من هذه الأدلة وموارد تطبيقها، والتعارض فيما بينها.

وبدون معرفة هذه القواعد لا يمكن التوصّل بواسطة النصوص إلى نفس الحكم الشرعي، ولا إلى نفس الوظيفة العملية، لأن علم الأصول بالنسبة لعلم الفقه كعلم المنطق بالنسبة لسائر العلوم، حيث يستخدم لتنظيم عملية التفكير في استنباط الأحكام.

ولذا كانت الحاجة إلى علم الأصول ناشئة عن الحاجة إلى علم الفقه.

مرافقة الشيعة للنص الشرعي إلى زمن الغَيْبة الكبرى

علم الفقه بدوره نشأ في أحضان علم الحديث، فلم يكن علم الأصول منفصلاً عن علم الفقه منذ البداية، لكن تطور علم الفقه ونموّه كعِلْمٍ، واتّساع أُفُقِه، وتوسُّع بحوث التطبيق لكثرة الفروع والابتلاءات، وانفتاح المسلمين على مختلف الأمم وسائر شؤون الحياة، كلّ ذلك أدّى بشكل طبيعي إلى توسّع المباحث الأصولية وتوسّع النظريات لأجل حلّ تلك الإشكالات بالخصوص، والبحث عمّا ينطبق عليها من أصلٍ أو قاعدةٍ عامّة، فكلما بَعُدَ المسلمون عن عصر النصّ تكبر الحاجة لدى الفقيه إلى القواعد التي يعالج بها جوانب الخطأ الناتج عن البُعد الروائي.

ولذلك كان علم الأصول في الفقه السنّي كعلم يبحث عن الحكم المجهول أسبق منه في الفقه الشيعي، لأن المذاهب السنيّة افترضت انتهاء عصر النصّ برحيل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى الرفيق الأعلى، مع ما عُلِم عنهم من النهي عن تدوين أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) في البداية.

وبعد القرن الثاني الهجري، ابتعدت المذاهب السنية عن النص النبويّ وعصره بمسافة زمنية كبيرة، خصوصًا مع ما اشتهر من نقل الحديث بالمعنى الذي يخضع لاجتهاد الناقل من جهة، ولذاكرته من جهة أخرى، بعد فرض الناقل خلو نفسه من الميول والأهواء الشخصية.

وأما الشيعة فقد كانوا يعيشون عصر النص الشرعي المباشر إلى نهاية القرن الثالث الهجري تقريبًا، لأن الإمام (عليه السلام) بالإضافة إلى أنه يحكي عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بسلسلة ثابتة، فهو عند الشيعة امتداد للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فلم تكن عندهم الفراغات التشريعية إلا ببدء الغَيْبة الكبرى لآخر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) - الحجة بن الحسن المنتظر (عجل الله فرجه) -، مع أن أُسُس الفكر الأصولي وجذوره كانت - كما أشرنا- من جملة النصوص التي أخذوا منها قواعد علم الأصول وحفظوها ودوّنوها من زمن الإمام الباقر (عليه السلام)، وأخذوا يمارسون تطبيقها عندما لا يجدون الإمام (عليه السلام) أو تبعد بينه وبينهم الشقّة.

وهكذا نشأ علم الأصول، وأخذ يتوسّع بنسبة الحاجة الناشئة عن بُعْد العهد عن النصّ المعتبر عندهم، أو عن غياب النص بسبب المستجدّات التي لا بدّ من إدراجها في إحدى القواعد الأصولية.

دخالة العقل في الدلالة على الحكم الشرعي:

وكل القواعد والأدلة في علم الأصول والفقه تبتني على الجزم بالنتيجة، لأن المقصود هو تحصيل [العلم] بالحكم أو بالوظيفة، إذ بدون حصول العلم تكون عملية الاستنباط ودراسة العلم لَغْوًا، لأن {الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} يونس: من الآية36.

فلا بدّ من تحصيل العلم، ومن القول بحجيته بالبرهان القاطع.

أما حصول القطع: فهو بحث صُغْروي محض، لأن قوة الدليل والمدلول هي التي تورث القطع، كنصوص القرآن الكريم وظواهره المسلّمة، بعد الفراغ عن حجية الظواهر بالسيرة القطعية المتصلة بعصر الرسول (صلى الله عليه وآله) والمعمول بها من قِبَله (صلى الله عليه وآله) ومن قِبل المعصومين (عليهم السلام) ومَن بَعْدَهم.

وأما حجية القطع ووجوب العمل على طبقه: فهي أيضًا ثابتة بحكم العقل، لأنه هو المتّبع والمُحكّم في شؤون الإطاعة والامتثال، حيث يُدرِك بأنّ الله تعالى له حق الطاعة على العبد في كل ما علمه وقام عليه الدليل من باب شُكْر المنعم.

فالعقل يتدخل في جميع الأحكام الشرعية ويواكب أدلّتها بهذا المعنى الذي ذكرناه كقاعدة عامة.

ولكن هذا لا يعطينا الحقّ في أن نُسمِّي هذه الأحكام بالأحكام العقلية، لأن دخالة العقل بهذا المقدار عبارة أخرى عن تكليف العاقل وسقوط التكليف عن فاقد العقل لجنون أو صِغرٍ أو عجزٍ مُسقطٍ للتكليف.

كما أنها تعني أن يعمل العالم بالحكم بعلمه ويبحث الجاهل عن حكمه ويتعلّمه.

نعم قد يتدخل العقل في الدلالة على الحكم الشرعي والكشف عنه:

(إما) بنحو الاستقلال، ويسمى البحث عن ذلك بـ[المستقلات العقلية] ويبحث فيه عن التحسين والتقبيح العقليين.

(وإما) بمعونة دليل آخر في غير المستقلات العقلية، أي الدليل العقلي الذي يساعد على استنتاج الحكم الشرعي لا على نحو الاستقلال.

فالكبرى هي حجية إدراك العقل المفروغ منها، وأما الصغرى فهي أنه هل يُدرِك العقل ذلك الحكم ويستكشفه أو لا؟

وهذه الصغرى هي المسألة الأصولية التي تقع نتيجتها كبرى في طريق استنباط الحكم الشرعي في الفقه.

وعلى سبيل المثال لا الحصر: إذا وجب شيء في الشريعة الإسلامية بدليله الشرعي، وكان امتثاله يتوقف على مقدّمات لم تُذكر في دليل الوجوب، فهل يُدرِك العقل بأنّه كلما وجب شيء وجبت مقدّمته وإن لم تكن منصوصًا عليها؟ فإذا أدرك العقل ذلك نقطع بوجوب المقدّمة شرعًا بمعونة الدليل العقلي منضمًا إلى صغرى الدليل الدالّ على أصل الحكم، ونسميه [وجوبًا غيريًا] مقابل [الوجوب الأصلي النفسي] الذي وجبت لأجله هذه المقدمة.

وعكس المثال المذكور: ما إذا وجب شيء، وكان هناك ما يمنع من امتثاله شرعًا - ويسمى هذا المانع بالضدّ -، فهل يُدرِك العقل بأن وجوب هذا الشيء يعني حرمة هذا الضّد المانع من امتثاله؟ فإذا ثبت ذلك كانت الحرمة غيرية ناشئة من الدليل العقلي أيضًا.

وتُسمَّى هذه المباحث بـ[الملازمات العقلية].

فالحاجة إلى معرفة أحكام مثل هذه الأمور من مقدمة الواجب والضّد ونحوهما هي التي تدعو لذلك، وإنما يُستعان لمعرفتها بالمباحث العقلية لأن العقل كما يُدرِك العلاقات بين الأمور التكوينية إيجابًا وسلبًا كوجوب اجتماع المتلازمين واستحالة اجتماع النقيضين، كذلك يُدرِك العلاقات التكوينية القائمة بين الأحكام بلحاظ متعلقاتها التي يجب الإتيان بها، لأنها بعد تشريعها من قِبَل الحكيم تصبح أمورًا واقعية، فيستفيد العقل من هذا الإدراك وجود الأحكام في بعض الموارد وانتفاءها في البعض الآخر بنفس الملاك الذي تُدرَك به في الأمور الواقعية، مع خضوعه في هذا الإدراك للحكم الشرعي الثابت كمًّا وكيفًا.

وهذه العلاقات المُدرَكة للعقل في عالم التشريع على أقسام:

فمنها: ما هو قائم بين نفس الأحكام الشرعية، كمسألة اجتماع الأمر والنهي، واقتضاء النهي للفساد في العبادة أو المعاملة - بمعنى عدم إجزاء العمل المنهي عنه أو عدم ترتب الأثر على المعاملة وعدمه -، واقتضاء الأمر بالشيء النهي عن ضده وعدمه.

ومنها: ما هو قائم بين الواجب ومقدّماته، سواء الداخلية منها كأجزاء الواجب الارتباطي، أو الخارجية، سواء كانت هذه الأخيرة مقدّمات للواجب، أو مقدّمات للعلم بالواجب كموارد العلم الإجمالي.

ومنها: ما يقوم بين الحكم الشرعي وغيره مما هو خارج عن نطاق التشريع، كالتَّلازم بين الحكم العقلي والحكم الشرعي على أساس قاعدة [أن كل ما يحكم به الشرع يحكم به العقل].

كموارد الشك في أصل التكليف، فإنّ البحث عن حكم العقل فيها بالبراءة أو الاحتياط إنما هو لأجل أن يُستكشف منه حكم الشرع.

وكموارد الاستكشاف الظنيّ الذي يحتاج إلى البحث عن حجية هذا الإدراك بعد حصوله، مثل البحث عن حجية القياس والاستقراء، وهذا ليس من مباحث علم الأصول، لأنه لا يشارك في عملية الاستنباط كبرىً أو صغرىً، بل هو قضية عقلية ظنيّة ترتبط بحكم شرعي معيّن استقراءً أو قياسًا، ولا تتجاوزه إلى حكم آخر، ولا بد من الاستدلال على حجية هذا النحو من الاستكشاف الظني العقلي لإثبات ذلك الحكم.

فالحكم الشرعي ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الحكم الواقعي الثابت بدليله الشرعي المتعلق بالواقعة من حيث هي، وبقطع النظر عن أية حالة تُفرض على تلك الواقعة.

القسم الثاني: حكم ظاهريّ، وهو عبارة عن الوظيفة التي شرّعها الله تعالى لمن شكّ في الحكم الواقعي للواقعة المعيّنة، وهذا الحكم الظاهري قسمان:

الأول: منحصر بالأمارات، كخبر الواحد.

الثاني: الأصول، والأصول قسمان:

- أصول شرعية، كالاستصحاب والبراءة الشرعية.

- أصول عقلية.

و[الأصول العقلية] هي القواعد والإدراكات العقلية التي يُستكشف منها حكم شرعي قطعيّ أو ظنيّ، فهي وظائف عمليّة عقليّة مُنبثقة عن حكم العقل بالإطاعة إثباتًا ونفيًا، ومرجعها إلى مدركات العقل العملي فيما يرتبط بحقّ الطاعة، فالقطعيّة منها حجّة بلا إشكال، والظنيّة تحتاج إلى دليل.

وهذه المُدرَكات موجودة في كل مورد في نفسه بقطع النظر عن وجود الدليل الشرعي والأصل العملي، إذ مع وجود واحد من هذه الأمور لا يبقى موضوع لهذه المُدرَكات، ومع عدمه فالمورد موردها، ولذلك لا يُتصور معارضتها للأدلة أو الأصول الشرعية، كما لا يُتصور معارضتها في ما بينها، لأن العقل لا يُدرِك أمرَيْن متنافيين.

وبناءً على ما ذكرنا، وقع البحث في الملازمات العقلية عن أمور:

منها: مسألة اجتماع الأمر والنهي وما يتبعهما من صحة العبادة وفسادها، وكذا في المعاملة.

ومنها: مسألة الضِّد.

ومنها: مقدّمة الواجب.

ومنها: الواجبات الضمنية للواجب المركَّب.

ومنها: مبحث الإجزاء، حيث إن البحث فيه عقلي على بعض الوجوه.

ومنها: المداليل الالتزامية للأدلة الدالّة على الحكم الواقعي الظاهري.

ومنها: الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع.

ومنها: حجية الإدراكات العقلية غير القطعية، كالقياس والاستقراء.

ومنها: مباحث العلم الإجمالي.

ومنها: التخيير العقلي.

انتهى

الهوامش

* آية الله الشيخ مفيد الفقيه مؤسّس جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية في جبل عامل.

القضاء الشرعي

الشيخ حسن عبد الساتر

الشيخ حسن عبد الساتر*

القضاء في الإسلام منطلقًا وأهدافًا:

إن الإسلام اشترط في القاضي، والمقضي فيه، والمقضي عليه، وفي نفس المواد القضائية، شروطًا كثيرة تهدف إلى تهذيب النفس وتربية الروح ونشر العدل وإحقاق الحقّ، أكثر مما تهدف به إلى الجوانب المادّية الأخرى، حيث لم يهملها كليًا أيضًا، وإنما اهتمّ بها إلى حدّ معقول يساعد على ترجمة ما يبتغيه من القضاء ترجمة صحيحة، فالإسلام في كلّ تشريعاته الفقهية وأُسسه العقائدية وباقي نظمه، يحاول أن يُوجد إنسانًا جديرًا بخلافة الله في الأرض، يملؤه وازع ديني وأخلاقي وعقائدي، يكون بمثابة الشرطي الضابط لضميره ودخيلة نفسه، ويكون هو الدافع والموجّه له في أعماله وأقواله، بل وحتى في نيّته وما توسوس به نفسه، نحو الخير والسلام وحفظ المصالح العامّة والخاصة، دون أن يكتفي بوضع مراقبين على أعماله وتصرّفاته من الخارج، وسنّ قوانين جافّة لردع جموحه وشهواته ونزواته التي تتغلّب في كثير من الأحيان على عقله وفكره وضميره السليم.

فالإسلام يربّي في الإنسان العقل والرّوح والضمير، كي يشعر دائمًا في قرارة نفسه أنه مسؤول ومحاسب على كلّ كبيرة أو صغيرة تصدر منه، من قِبل الله المطّلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

والإسلام بهذه التربية، يجعل من الإنسان المسلم ضابطًا ومراقبًا وحصنًا تتحصّن به نفسه وضميره، ورادعًا له عن كل سلوك وتصرّف يخالف به الشرع الشريف والقوانين الإلهية، وبهذه التربية تسير الأمور وتستقيم في المجتمع المسلم، حيث لا تعقيد ولا انحراف، ولا تجاوز أو تعدٍّ على حقوق الآخرين وكراماتهم.

ولقد دلّت التجارب الكثيرة على أن سنَّ القوانين وحدها، ووضع المراقبين من الخارج على سلوك النّاس وتصرّفاتهم، لم تكفِ في الحدّ من الفجائع والظلم الذي يكاد يستوعب البشرية بأسرها، ويكفيك ما ترى فضلاً عمّا تسمع من الويلات والآفات الأخلاقية والاجتماعية التي تعاني منها أرقى البلاد في تشريعاتها الوضعية، وذلك لأنها تركت تعاليم السماء، وهي في أحسن حالاتها استنزلت الربّ من السماء إلى الأرض وجعلته بشرًا.

إن الإنسان الذي لم يتربّ في نفسه رادع أو وازع من الله يردعه ويحاسبه على أعماله وعلى كل صغيرة وكبيرة تصدر منه، لا تردعه القوانين الوضعية، بل لا يردعه شيء قط عن الإقدام على كل شيء يُشبع شهواته ونزواته، وتمليه عليه مآربه ومصالحه الخاصّة، نعم هو في أحسن حالاته يسعى لستر أعماله الشائنة المخالفة، كي لا يفتضح أمره ويؤاخذه القانون، وكثيرًا ما لا تُعرف خفايا أعماله، وتبقى تبعاتها وبالاً على المجتمع، بل حتى واضع

القانون نفسه طالما خالف ما وضَعَهُ، إلا أن يكون له دِين يدفع وجدانه نحو الاستقامة، بل طالما أقدم واضع القانون على وضع قوانين تُشرِّع الظلم واستعباد الناس، ولذا ترى الدّول الاستعمارية ترتكب الجرائم والمآسي اللاإنسانية، ثم تشرّع في قوانينها الوضعية تبرير هاتيك الجرائم واستعمار الشعوب وخنق حرّياتها، وتسمّي ما تفعله حضارة تارة، وعدالة أخرى، والدفاع عن حقوق الإنسان رابعة، ومحاربة الإرهاب خامسة.

من هنا حاول الإسلام - كما عرفت - أن يربّي في روح الإنسان ونفسه وازعًا يمنعه عن الانحراف وارتكاب الجرائم والمآثم، قبل أن يحاول وضع مراقبين على أعماله من الخارج، لأن ذلك أفعل في استئصال الشرّ والفساد من الجذور، وتربية الإنسان على حبّ الخير والاستقامة في أقواله وأفعاله.

والحاصل: هو أن الإسلام ومشرّع الإسلام سبحانه، اعتمد وشرّع أُسسًا خاصة تُعنى بتربية الضمير والوجدان قبل عنايته بالرقيب الخارجي، وتوقظ فيه الرّوح والشعور بالمسؤولية أمام الله سبحانه، ليقوم بعمله وواجباته مع الآخرين - مهما كانوا - بإنسانية صادقة.

ومن هنا اشترط الفقهاء في القاضي **"العدالة"** كي تُحفظ بها حقوق الناس وأنفسهم من الجَور والظلم في القضاء، وعدم التعدّي على الأموال والأنفس والدماء، وغضّ الطرف عن الأعراض والنواميس.

وهذان الشرطان الأخيران لهما مدلولهما الرّوحي الخاص في الضبط والنزاهة والورع عن كثير من الانحرافات التي تصيب القضاة والقضاء.

وفي هذا الزمن الذي تمرّ فيه البلاد الإسلامية بتجربة لتطبيق الإسلام، نشعر بإلحاح أكثر من ذي قبل بضرورة تجديد المعالم الإسلامية وإحيائها في مختلف المستويات وبمختلف الأشكال العلميّة، من الدّرس والتدريس والتنقيب والكتابة والتأليف ونشر المؤلفات القيّمة من آثار أعلامنا الماضين، أعلى الله درجاتهم ورفع مقاماتهم، إذ لا تتركّز دعائم الإسلام أو دولته إلا ببثّ معارفه الخالصة عن الشوائب في المجتمع، فإنّ بثَّ هذه المعارف الإسلامية، هو الوسيلة الأنجع لتربية مسلمين مؤمنين مُركَّزي الإيمان، يقفون سدودًا منيعة أمام الزيغ والكفر والانحلال، لا تؤثر فيهم عواصف التيارات الوافدة من وراء بلاد المسلمين.

القضاء الشرعي روحًا وشروطًا:

إذا كانت مناسبات الحكم والموضوع، وسياق القضايا والكلام يشكّلان قرائن هامّة في تشخيص مداليل القضايا والكلام بمقتضى العقل النظري، فإن القضاء بشقّيه يشكّل الترجمة الإدارية والقانونية بمقتضى العقل العملي، سيّما القضاء التحكيمي الذي يكاد يُمارَس وحده في المحافل المحلية والإقليمية والدولية.

وإذا كان - كما يقال - **"العدل أساس الملك"** بمقتضى العقل النظري، فإن القضاء هو الترجمة القانونية لهذا العدل بمقتضى العقل العملي.

من هنا رأيت الكتابة في هذا الموضوع مُوزّعًا ذلك في مسائل مهمّة فيه بحسب مباني الفقه الإسلامي، وسوف أعالج هذه المسائل بشكل موجز غير مُمِلّ تاركًا التطويل إلى محله:

القضاء في الشريعة:

والقضاء فيها واجب كفائي، وهو منصب جليل لا يليق إلا بالعالم الورع خوفًا أن يتطفّل إليه من ليس أهلاً للعلم ولا أمينًا على الدين.

وحكم القاضي نافذ على المختصمين، ولا يجوز نقضه حتى من قِبَل قاضٍ آخر، إلا في فرض فقدان القاضي الأول للشروط المعتبرة في القاضي، أو فرض مخالفة حكمه لما ثبت بنحو القطع من الكتاب وسُنَّة المعصوم الشريفين.

والقاضي على ضربين: القاضي المنصوب، وقاضي التحكيم، وحكم كليهما نافذ.

والمستند في ذلك:

أما بالنسبة إلى نفس القضاء فلأن المعروف عند المتقدمين تحديد القضاء بالولاية على الحكم شرعًا بين المتخاصمين لفصل الخصومة، والمعروف عند المتأخرين بأنه: الحكم بين المتخاصمين لرفع الخصومة، دون مجرد الولاية.

ولعله يمكن الجمع بين القولين بأنه الحكم لفصل الخصومة بين المتخاصمين من قِبَل مَن له الولاية على ذلك شرعًا، حيث إن مفهوم القضاء عند المتشرعة هو هذا، وليس مجرد الحكم، ولا مجرد الولاية.

وقد يُستأنس لذلك بقوله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ}([1])، وأحسب أن هذا المقدار كافٍ في بيان هذه المفردة، لعدم ترتب ثمرة عليها.

ومن الواضح أن حكم القاضي يختلف عن فتوى المجتهد، فإن فتوى المجتهد بيان لأحكام كليّة بحسب ما يؤدي إليه نظر المجتهد، بينما حكم القاضي هو تطبيق لتلك الأحكام الكلية على الواقع، ولذا قلنا إن القضاء هو الترجمة القانونية لتلك الأحكام بمقتضى العقل العملي، ويقال في لغة الأصول: إن قضاء القاضي في طول فتوى المجتهد لأنه متفرع عنها.

وكذلك تختلف الفتوى عن القضاء في أن القضاء ينفذ في حق الجميع، بينما فتوى المجتهد إنما تكون حجة في حق مقلِّدي هذا المجتهد.

وقد يُذكر فرق آخر: وهو أن فتوى المجتهد تكون مُحكّمة في بيان الحكم الكلي بقطع النظر عن تطبيقه على مصاديقه، إذ إن ذلك من وظائف المقلد، بينما في القضاء يرجع التطبيق إلى القاضي حيث إن هذه وظيفته.

وأما مسألة كون القضاء واجبًا: فلتوقف حفظ النظام عليه، إذ ما يتوقف عليه حفظ الواجب هو واجب لا محالة، ناهيك عن أنه من مقدمات تحقيق المعروف ودفع المنكر.

وأما مسألة كونه كفائيًا: فلأن هذا الغرض الواجب الذي هو حفظ النظام، إنما يتحقّق بتصدّي من يملك كفاءة القضاء دون سواه.

وأما مسألة كون القضاء منصبًا خطيرًا وجليلاً: فذلك لأنه منصب الأنبياء، كما يُفهم من قوله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ}([2])، ويكفي فيه أن يكون منصب سيد الأنبياء والمرسلين محمد(صلى الله عليه وآله)كما في قوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا}([3])، وهو منصب الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

والحاصل: أن القضاء هو من جملة وظائف المعصوم، ففي الرواية عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لشريح القاضي: يا شريح قد جلست مجلسًا ما جلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي). ورواه الصدوق مرسلاً، وكذا رواه في المقنع، وروى الشيخ بإسناده عن محمد بن أحمد بن يحيى، مثله([4]).

وكذلك فإن منصب القضاء لمن وصفه المعصوم بـ"العالم" وأمر أن نجعله قاضيًا، كما في صحيحة أبي خديجة: (قال أبو عبد الله (عليه السلام): انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئًا من قضايانا فاجعلوه بينكم فإني قد جعلته قاضيًا فتحاكموا إليه)([5]).

وأما مسألة كونه منصبًا خطيرًا، فإنه فضلاً عن كونه منصبًا من وظائف المعصوم، أو من نصّبه من العلماء، فقد ورد من طرقنا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (لسان القاضي بين جمرتين من نار حتى يقضيَ بين الناس، فإما إلى الجنة، وإما إلى النار)([6]). كما ورد في حديث آخر: (من جُعل قاضيًا فقد ذُبح بغير سكين)([7])، وفي رواية ثالثة: (إن النواويس شَكت إلى الله عز وجل شدة حرّها، فقال لها عز وجل: اسكتي، فإن مواضع القضاة أشد حرًّا منك)([8]).

يتبع =

([1]) سورة ص من الآية 26

([2]) سورة ص من الآية 26

([3]) سورة النساء الآية 105

([4]) الوسائل ج18 ب3 صفات القاضي ح2-3 ص7.

([5]) الوسائل ج18 ب1 صفات القاضي ص4 ح 5.

([6]) الوسائل ج18 ب12 ح2.

([7]) الوسائل ج18 ب3 ح8.

([8]) النواويس موضع في جهنم. الوسائل ج18 ب16 ح4 ص 160.

.

تتمة مقال =

نفوذ حكم القاضي:

وأما مسألة كون حكم القاضي نافذًا، ولا يجوز نقضه حتى من قِبَل حاكم آخر: فقد ذكر لذلك وجهان:

الوجه الأول: هو التمسك بمقبولة عمر بن حنظلة: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام)عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دَين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟ قال (عليه السلام): من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت.. قلت: فكيف يصنعان؟ قال (عليه السلام): ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حَكَمًا، فإني قد جعلته عليكم حاكمًا، فإذا حكم بحكمنا فلم يُقبل منه، فإنما استخف بحكم الله.. وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله)([1]).

فهو فضلاً عن أنه فيما قبل الذيل يدفع إلى التحاكم عند الفقهاء الذين هم القدر المتيقن ممن روى أحاديثهم ونظر في حلالهم وحرامهم وعرف أحكامهم، فإنه فضلاً عن ذلك يدل بوضوح على أن الحكم إذا صدر على طبق القواعد، فعدم قبوله هو استخفاف بحكم الله تعالى.

والتأمّل المشهور في سند هذه المقبولة من جهة ابن حنظلة حيث لم يُوثّق، فقد تكفّل مبحث حجية الخبر في علم الأصول تحقيق المباني في علم الرجال وما هو الصحيح منها، هذا أولاً..

وأما ثانيًا: فإنه يمكن التساهل في أمر ابن حنظلة حيث إن صفوان الذي هو أحد الصحاح الثلاثة يروي عنه، بناء على كفاية ذلك في إثبات الوثاقة.

هذا مضافًا إلى رواية يزيد بن خليفة عنه، إذ قد روى:(قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن عمر بن حنظلة أتانا عنك بوقت، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): إذن لا يكذب علينا)([2]).

ومن المعلوم أن يزيد بن خليفة هو وإن لم يوثق، ولكن روى عنه يونس الذي هو من أصحاب الإجماع، بناءً على كفاية ذلك في قبول الرواية.

وقد يضاف إلى ذلك، أن تلقّي الأصحاب للرواية قد يورث للفقيه الوثوق بصدورها.

الوجه الثاني: أن القضاء شُرّع لفصل الخصومة، فلا بد من نفوذه، وإلا يلزم منه نقض الغرض، لكن هذا إذا لم يفترض حلّ الخصومة بيمين المدّعى عليه، طبقًا لصحيحة عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله (عليه السلام): (إذا رضي صاحب الحق بيمين المنكر لحقّه فاستحلفه فحلف أن لا حق له قِبَله، ذهبت اليمين بحقّ المدعي فلا دعوى له، قلت له: وإن كانت عليه بيّنة عادلة؟ قال (عليه السلام): نعم وإن أقام بعدما استحلفه بالله خمسين قسامة، ما كان له، وكانت اليمين قد أبطلت كل ما ادّعاه قِبَله مما قد استحلفه عليه)([3]).

وقد يُستظهر من الاستثناء في تحديد وظيفة القضاء، أنه إذا لم تكن الشروط متوفرّة في القاضي، إذن، فلا يكون منصوبًا من قبل المعصوم (عليه السلام)، أو كان الحكم على خلاف الموازين الشرعية، كالحكم بلا بيّنة، أو من دون علم الحاكم، إذ حينئذٍ لا يصدق أن الحاكم قد حكم بحكم المعصوم (عليه السلام)، ومعه لا يكون عدم قبوله استخفافًا بحكم الله تعالى، إذن فالحكم على خلاف الموازين الشرعية هو كلا حكم.

وأما اعتبار أن تكون المخالفة مخالفة لما ثبت اعتباره بنحو القطع، فلأنه بدون ذلك يكون الحكم مشمولاً لقوله (عليه السلام): (فإذا حكم بحكمنا).. إذ من الواضح أن المراد منه هو الحكم على طبق الموازين الشرعية عند من توفّرت فيه شروط القضاء السابقة.

وأما مسألة المراد من القاضي المنصوب وقاضي التحكيم: فيظهر أن المقصود من الأول، من كان منصوبًا للقضاء من قبلهم (عليهم السلام)، كما في رواية ابن حنظلة المتقدمة حيث قال (عليه السلام): (فإني قد جعلته عليكم حاكمًا)، وكذلك صحيحة أبي خديجة المتقدمة حيث قال (عليه السلام): (انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئًا من قضايانا فاجعلوه بينكم، فإني قد جعلته قاضيًا فتحاكموا إليه).

وكذلك فقد يُعضد ذلك بفكرة حفظ النظام، وذلك بتقريب: أن مقتضى حفظ النظام لزوم نصب القاضي المجتهد، فإن مقتضى الأصل هو عدم نفوذ حكم أحد على غيره، والقدر المتيقن الخارج عن الأصل المزبور هو المجتهد.

ويظهر أن المقصود من الثاني: أي قاضي التحكيم، هو من كان منصوبًا من قبلهم (عليهم السلام) بعد تراضي المتخاصمين عليه. ويمكن أن يُتمسك له بقوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ}([4])، حيث إنه بإطلاقه يشمل قاضي التحكيم، بل يدل على نفوذ حكمه بالعدل، حتى

لو صدر من غير المجتهد المنصوب، وكذلك يمكن التمسك بصحيحة الحلبي: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ربما كان بين الرجلين من أصحابنا المنازعة في الشيء فيتراضيان برجل منّا، فقال (عليه السلام): ليس هو ذاك، إنما هو الذي يُجبر الناس على حكمه بالسيف والسوط)([5])، ودلالة هذه الصحيحة واضحة في المطلوب.

أخذ الأجرة على القضاء:

وفي جواز أخذ الأجرة على القضاء خلاف: فقيل بعدم جواز أخذ الأجرة على القضاء، إما لأنه واجب، وحيثية الوجوب نفسها تمنع من أخذ الأجرة، وإما لأن حيثية القضاء بخصوصها تمنع من ذلك.

أما المنع بالحيثية الأولى: فقد ذُكرَت له عدة تقريبات، ذُكر بعضها في بحث الإجارة، عند البحث عن جواز الإجارة على الواجبات، حيث اتضح هناك عدم المنع بهذه الحيثية الأولى.

وأما المنع بالحيثية الثانية: فيمكن إثباته من خلال صحيحة عمار بن مروان: (قال أبو عبد الله (عليه السلام): كل شيء غُلّ من الإمام فهو سحت، والسحت أنواع كثيرة، منها ما أصيب من أعمال الولاة الظلمة، ومنها أجور القضاة، وأجور الفواجر وثمن الخمر والنبيذ والمسكر)([6]).

وقد يقال: إنها ناظرة إلى القضاة المنصوبين من قبل الظلمة، بقرينة التعبير بكلمة "منها"، أي "ومن جملة ما أصيب من أعمال ولاة الظلمة، أجور القضاة"، والقرينة على رجوع ضمير "منها" إلى ما ذكر، وليس إلى كلمة "أنواع كثيرة"، هي عدم تكرار كلمة "منها" مع البقية.

وأجيب عنه: بدعوى أن المناسب - لو كان ذلك هو المراد - هو التعبير بكلمة "منه"، بدل "منها".

وعلى أيّ حال: فإن إعمال مثل هذه التدقيقات، وتحميلها على الروايات هو أمر زائد على طاقة الراوي، حيث إنه ينقل بالمعنى، ولا يلتفت إلى مثل هذه الدقائق، وعليه، فالتمسك بالصحيحة المذكورة غير تام.

وقد يضاف إلى ما تقدم: أنه قد عُلم من مذاق الشارع إرادته صدور القضاء والإفتاء بنحو المجانية، لأنهما من شؤون تبليغ الرسالة، حيث قال تعالى {قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرا}([7]).

ثم إن المنع من أخذ الأجرة على القضاء، لا يمنع من جواز ارتزاق القاضي من بيت المال، لأنه معدّ لمصالح المسلمين، ومما يؤكد جواز الارتزاق، تأكيد أمير المؤمنين (عليه السلام)في عهده إلى مالك الأشتر عند تعرّضه للقضاء والقاضي: (.. وأَكثِر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيح علته، وتقلّ معه حاجته إلى الناس)([8]).

حكم الرشوة:

الرشوة محرَّمة على الراشي والمرتشي بلا خلاف، وحرمة الرشوة من الضروريات، وقد دلّ على حرمتها قوله تعالى {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}([9]).

وفي الروايات عن الإمام الصادق (عليه السلام)قال: (الرُّشا في الحكم، هو الكفر بالله تعالى)([10])، وقد رواه الشيخ بإسناده عن الحسين بن سعيد.

كما روي عن الباقر (عليه السلام):(إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعن من نظر إلى فرج امرأة لا تحلّ له، ورجلاً خان أخاه في امرأته، ورجلاً احتاج الناس إليه لتفقهه في الدين، فسألهم الرشوة)([11])، وكذلك فقد روى العياشي في تفسيره عن الصادق (عليه السلام) قال:(من أكْلِ السّحت: الرشوة في الحكم)([12]).

هذا ما كان على نحو الإيجاز، والحمد لله أولاً وآخرًا وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

انتهى

([1]) الوسائل ج18 ب11 ص99 ح1.

([2]) الكافي ج3 ص275.

([3]) الوسائل ج18 ب9 ح1 ص179، ورواه الشيخ بإسناده عن علي بن إبراهيم.

([4]) سورة النساء من الآية 58.

([5]) الوسائل ج18 ب1 ح8 ص5.

([6]) الوسائل ج12 ب5 ص64 حديث 1.

([7]) الشورى من الآية 23.

([8]) الوسائل ج18 باب 8 ص163 حديث 9.

([9]) البقرة الآية 188.

([10]) الوسائل ج18 ب 8 ص 162 حديث 3.

([11]) الوسائل ج18 ب8 ص163 ح5.

([12]) الوسائل ج18 ب8 ص163 حديث 7.

الهوامش

* رئيس المحاكم الشرعية الجعفرية - بالتصرف.

بشارة الملكوت

الشيخ حاتم إسماعيل

بشارة الملكوت في دعوة المسيح (عليه السلام)

الشيخ حاتم إسماعيل*

لقد تحدّثت الأناجيل عن أن السيد المسيح (عليه السلام)، وطيلة ثلاث سنوات هي سِني دعوته الشريفة، كان يطوف في مجامع اليهود العبادية واعظًا ومبشرًا، إضافة إلى المعجزات التي كان يأتي بها من شفاء أمراض مستعصية، وإحياء موتى، وغير ذلك مما لم يكن مألوفًا ولا ممكنًا في عالم الطب، رغم انتشاره وتطوره الشديد، شكّلت دلائل آيات لإثبات صحة ما يدعو إليه، وأنه بإذن الله تعالى، ولم يكن شفاء المرضى وإحياء الموتى غاية في نفسه.

وهذا هو ما دلّت عليه الآية القرآنية المباركة، في معرض الحديث عنه (عليه السلام): {وَرَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}([1]).

أما حقيقة دعوته (عليه السلام) وجوهرها فهي عبارة عن البشارة بـ"اقتراب ملكوت السماوات"، كما هو مسطور في مختلف فصول الأناجيل.

فما هو الملكوت الذي دعا إليه السيد المسيح؟

وما هي حقيقته؟

وهل هو ملكوت مادي أرضي، أم ملكوت معنوي روحي، لا يتجاوز آفاق النفس الإنسانية؟

معنى الملكوت:

الملكوت في اللغة على وزن فعلوت من الملك، وهو عبارة عن السلطنة العظيمة، والملك الثابت العزيز، ويمكن إرادة ملكوت الله تعالى، باعتبار أنه المالك الحقيقي لكل المخلوقات كما في قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}([2])، ويمكن استعمالها وإرادة الملك الأرضي، إذا كان واسعًا وشاملاً وعزيزًا، وقد ورد في العهد القديم بكلا المعنيين:

فمن إرادة المعنى الأول: قوله حكاية عن نبوخذ نصر: "آياته ما أعظمها وعجائبه ما أقواها، ملكوته ملكوت أبدي وسلطانه إلى دور فدور"([3])، ويقول معترفًا: "وعند انتهاء الأيام أنا نبوخذ نصر رفعت عيني إلى السماء، فرجع إليّ عقلي وباركت العليّ وسبّحت وحمدت الحي إلى الأبد الذي سلطانه سلطان أبدي وملكوته إلى دور فدور" ([4]).

وأما إرادة المعنى الثاني: فقول دانيال النبي لبيلشاصر الملك: "أنت أيها الملك فالله العلي أعطى أباك نبوخذ نصر ملكوتًا وعظمة وجلالاً وبهاء، وللعظمة التي أعطاه إياها كانت ترتعد وتفزع قدامه جميع الشعوب والأمم والألسنة"([5]).

فلا بد إذن من ملاحظة سياق الكلام الوارد فيه هذا التعبير، وإبراز القرائن الدالة على إرادة أي من المعنيين فيه، خصوصًا في عبارات السيد المسيح (عليه السلام) الواردة في الأناجيل، بعد افتراض أن جوهر دعوته هو البشارة باقتراب ملكوت السماوات.

المسيح والتوراة:

على الرغم من خيانة اليهود، وتمرّدهم على أوامر الله تعالى، وإبطالهم أحكام التوراة من الناحية العملية، وتلاعب أحبارهم بمضامينها ونصوصها، إلا أنها ظلّت محافظة على قداستها في نفوس الشعب من الناحية النظرية على الأقل.

وقد افتتح السيد المسيح (عليه السلام) دعوته بإبراز أهمية التوراة، وأنه مستند في دعوته إلى تعاليمها، يقول كاتب إنجيل لوقا: "وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربّى، ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ، فدفع إليه سفر أشعياء النبي، ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوبا فيه، روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة، ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس، وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه، فابتدأ يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم"([6]).

وفي عظته على الجبل قال لهم: "لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس (المراد بالناموس أسفار موسى (عليه السلام) الخمسة أي التوراة، وهي أسفار: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، والتثنية) أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل"([7]).

وفي مقام الإثبات العملي لهذا القول، نراه قد شفى أبرصًا، وقال له: "انظر أن لا تقول لأحد، بل اذهب أرِ نفسك للكاهن وقدّم القربان الذي أمر به موسى"([8])، مما يعني أنه لم يرد الإخلال بأي قانون من قوانين التوراة ولو على مستوى تقديم القربان.

وجاءه رجل ذات مرة، "وقال له: أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحًا، ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا، قال له: أية الوصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق..الخ"([9]).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى التزامه بالتوراة، وعدم خروجه عن تعاليمها.

الملكوت في العهد القديم:

إن أول ذكر للملكوت الأرضي في العهد القديم قد ورد في سفر دانيال، فإضافة إلى ما تقدم يقول مثلا: "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدّامه، فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض" ([10]).

وقد حاول المسيحيون تطبيق هذه الرؤيا على السيد المسيح (عليه السلام)، استنادًا إلى العبارة المنسوبة إلى السيد المسيح في الأناجيل، والمقتبسة من كلام دانيال هنا، حيث يقول: "وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوّة وآتيًا في سحاب السماء"([11])، إلا أنها ليس فيها أي دلالة على إرادة السيد المسيح (عليه السلام) منها، بل هي على إرادة غيره أدل، سواء أريد منها ما هو ظاهر من معناها، أم أريد بها معنى كنائيًا للدلالة على المُلك والسلطنة والقوة.

إن ما تقدم من أن لفظ الملكوت قد ورد لأول مرّة في سفر دانيال، لا يعني أن العهد القديم لم يتعرض لهذه المسألة قبله أصلاً، بملاحظة أن اليهود، ومنذ زمن طويل، ينتظرون مجيء مسيح آخر الزمان ليحكم الأرض ويقيم الملكوت، وهذا ما تدل عليه طبيعة دعوة السيد المسيح (عليه السلام) في الأناجيل من كرازته "باقتراب ملكوت السماوات" الأمر الذي يدل على أنهم موعودون به، لكنهم لم يعرفوا وقته، فبيّن (عليه السلام) لهم أنه بات قريبًا.

هذا بالإضافة إلى أنه قد ورد الحديث عن هذا الملكوت في توراة موسى (عليه السلام)، وإن لم يذكر لفظ الملكوت فيه، حيث يقول: "أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم نبيًا مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيهم به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه"([12]).

المسيح والنبوة:

لقد حاول المسيحيون تطبيق هذه النبوءة على السيد المسيح (عليه السلام) أيضًا، وافترضوا أنه هو المقصود بها([13])، مع أنها لا تنطبق عليه بحال، ذلك أن النبي المقصود سوف يكون من إخوة بني إسرائيل، بخلاف السيد المسيح (عليه السلام) فإنه منهم وليس من إخوتهم.

كما إن كاتب التوراة يقول: "ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه"([14]).

هذا بحسب النسخة التي يعتمدها اليهود والمسيحيون، وأما بحسب التوراة السامرية فيقول: "لا يقوم نبي في إسرائيل كموسى الذي ناجاه الله شفاهًا".

من الواضح أنه استنادًا إلى النسخة السامرية لن يكون أي نبي في بني إسرائيل كموسى (عليه السلام)، سواء كان المسيح أم غيره، وأما استنادًا إلى النسخة المتداولة فلا دلالة فيها على تأبيد النفي، ولكنها من جهة أخرى لا دلالة فيها على الوقوع بالفعل، بل بقيت على إبهامها من هذه الجهة، إلا أن تاريخ النبوءات والأحداث يدل على عدم وقوع هذه المثلية أيضًا، وبالتالي لا يمكن أن تنطبق على السيد المسيح (عليه السلام) لعدة وجوه:

يتبع=

---

[1] آل عمران49.

[2] سورة يس: آية 83.

[3] سفر دانيال: 4/3.

[4] نفس المصدر السابق: 4/34.

[5] نفس المصدر السابق: 18/5-19.

[6] إنجيل لوقا: 16/4-21.

[7] إنجيل متى: 17/5-18.

[8] متى:2/8-4.

[9] نجيل متى: 16/19-19.

[10 سفر دانيال: 13/7-14.

[11 إنجيل مرقس: 14/62.

[12] سفر التثنية: 18/18-19.

[13] أعمال الرسل:20/3-23.

[14] سفر التثنية: 34-10.

.

تتمة مقال =

الأول: أن مهمته (عليه السلام) قد انتهت قبل اعتقاله!! كما صرّح بذلك في آخر خطبة قالها لتلاميذه، فإنه بعد ما أنهى كلامه معهم، توجّه إلى السماء، وقال: "..وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته، أنا مجّدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته"([1]).

إن انتهاء مهمته ووظيفته عند هذا الحد، يعني أن كل التطورات التي حدثت بعدها، سواء صلب وقام كما يقوله المسيحيون، أم لم يصلب وإنما شبّه لهم، كما هو الحق بمقتضى نصّ الآية القرآنية الشريفة، إن كل هذه التطورات خارجة عن وظيفته وعمله وبالتالي لن يكون له أثر تشريعي أو تبليغي ودعوي في ما بعد، بل يمكن القول أنه إذا قام بأي عمل سيكون تجاوزًا لحدود الوظيفة المعطاة له من قبل الله تعالى، بعد إقراره بقوله: "العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته".

هذا بالإضافة إلى أن الأحداث التي حصلت بعد هذا الخطاب، لم تكن من صنعه ولا باختياره، بل كانت صادرة من خصومه وأعدائه، وهو مما لا تصح نسبته إليه (عليه السلام)، وإلا فلا يكون لإدانتهم بقتله أي معنى، بل سيكون المفروض أنهم عملوا بإرادته ورغبته، بل امتثالاً لأمر إلهي فيه، وهذا مما لا يمكن أن يلتزم به المسيحيون قبل سواهم، مع أن صريح الأناجيل - وفي مختلف الموارد - إن فعلتهم كانت جريمة كبرى.

الثاني: أن موسى (عليه السلام) قد كان قائدًا لشعبه ضد خصومهم المصريين، وقد أقرّ له الإسرائيليون بهذه القيادة، حسب ما يدل عليه سياق الأحداث في التوراة، وقد أغرق فرعون وجنوده عندما لحقوا بهم، وهذا ما لم يحصل مع السيد المسيح (عليه السلام)، فلا هو ادعى قيادة بني إسرائيل، ولا هم أقروا له بذلك، بل هو لم يحاول تحريرهم من أيدي خصومهم الرومانيين، الذين كانوا يجثمون على صدورهم وفي أرضهم، وهذا ما دعاهم إلى الانتفاض ضده بعدما خاب أملهم به وبدعوته.

مع أنه لا مجال للمقارنة والمماثلة بينهما، لا من جهة الولادة ولا من جهة المنشأ والتربية والبيئة.

الثالث: أن هذا النبي الموعود ستكون معجزته في فمه، بمعنى أنه لا يجب أن تكون معجزة النبي خارجية لتكون معجزة، بمعنى أن تكون من أنحاء التصرف في عالم التكوين، كما حصل مع الأنبياء السابقين، بما فيهم السيد المسيح (عليه السلام) نفسه، لأن هذا النوع من الإعجاز خاص بالحاضرين معه والشاهدين على معجزته، وأما بعد تحقق المعجزة وانتهاء زمانها ومفاعيلها، ستنتقل إلى الآخرين على أنها قصّة أو رواية قابلة للتصديق والتكذيب، وبالتالي ربما ينتقل الشك إلى أصل وجود النبي المفترض حقيقة على مسرح الأحداث التاريخية، كما حصل بالنسبة إلى السيد المسيح (عليه السلام) نفسه فعلاً، حيث شكّك الكثير من الباحثين بوجود شخص يدعى يسوع قبل ألفي سنة من الزمان([2]).

وهذا بخلاف الكلمة المعجزة، المحفوظة والمدوّنة على مدى الأزمان، فإنها شاهد إثبات واقعي لكل من عاينها، سواء كان شاهدًا ومعاصرًا للنبي، أو لم يكن كذلك، فإذا فتحنا الأناجيل وجدناها عبارة عن مجموعة قصص تتحدث عن شخص مرّ في التاريخ، وقام بأعمال كبيرة وخطيرة، لا ترقى إلى مستوى الإثبات الفعلي لوجوده، لاحتمال أن تكون من إبداع خيالات الرواة والقصّاصين، خصوصًا وأن الظروف الموضوعية والتاريخية لتلك الحقبة لا تساعد على فكرة إحياء الموتى.

إن هذه الكلمة المعجزة لم تتحقق في تاريخ البشرية إلا بالقرآن الكريم، الذي حافظ على أصالته طيلة أربعة عشر قرنًا من الزمان، ولا زال يتحدّى المجتمع البشري، بمعارفه العالية، وحقائقه التاريخية، وهو الوحيد الذي يشكل شاهد إثبات حي لنبوّات سائر الأنبياء السابقين (عليه السلام)، ولولاه لم يتمكن أحد من إثبات مرور أحد منهم في التاريخ.

الرابع: إن مقتضى المثلية في النبوة الموعودة، أن تشتمل رسالة النبي القادم على شريعة ودستور حياة، كما هو الحال في رسالة موسى (عليه السلام)، ومن المعلوم أن السيد المسيح (عليه السلام) لم يأت بشريعة قانونية تنظم حياة الناس، ولم يدّع أحد ذلك له، وما هو موجود في الأناجيل من تعاليم منسوبة إليه (عليه السلام)، لا تعدو كونها عدة تعاليم أخلاقية، لا علاقة لها بالقانون ولا بالتشريع، مع أن الكثير منها لا تثبت أمام النقد العلمي، لما تتضمنه من تهافت في أنفسها، ومخالفة للفطرة الإنسانية، من قبيل قوله "أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، لا تقاوموا الشر، من لطمك على خدك الأيمن فأَدِر له الآخر أيضًا"([3])، ولا نريد تفنيده الآن، بل يكفي دليلاً على عدم صحة هذا التعليم أن أحدًا من المسيحيين لم يعمل به على مرّ التاريخ.

وسواء تمّت هذه التعاليم كقيمة أخلاقية أم لم تتم، فإنها لا تشكّل تعليمًا قانونيًا ينظّم حياة الناس، فلا يمكن مقارنتها بشريعة موسى (عليه السلام)، وتعاليمه القانونية الواردة في كتاب التوراة، فلا يمكن أن تنطبق مواصفات النبي الموعود على السيد المسيح (عليه السلام).

الصحيح في النسختين:

قلنا إن بين النسخة العبرانية وبين النسخة السامرية تباينًا في الدلالة على موقع نبوة موسى (عليه السلام) في بني إسرائيل, فهل يمكن إثبات أيهما أولى بالصدق والاتباع, أم لا يمكن ذلك؟ فإن مما لا إشكال فيه أن هذا التباين واختلاف النسخ طارئ على أصل التوراة, من قبل النسّاخ أو الكهنة والكتّاب.

ومع غض النظر عن سقوط كلا النسختين عن الاعتبار والحجية, لكثرة الإشكالات الواردة عليهما, سواء من ناحية الإثبات التاريخي, أم من ناحية التناقضات الداخلية في مضامينها, فإنه يمكن القول أن النسخة السامرية هي الأصح في المقام, فلا يمكن قبول ما تضمنته النسخة العبرانية هنا, لأن الوارد فيها قوله: "الذي عرفه الرب وجها لوجه", ومعنى هذه العبارة, إن حُملت على معناها الظاهر منها, أن الله تعالى قد التقاه وجهًا لوجه, وتعرَّف إليه من خلال ذلك, وهو يشتمل على محاذير لا يمكن الالتزام بأي منها:

الأول: أن الله تعالى له وجه يظهر به على الناس, فيرونه من خلاله, مع أن هذه النسخة نفسها قد نفت إمكانية رؤيته تعالى, وذلك حين طلب منه موسى (عليه السلام) أن يُريه مجده, فقال له: "لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش,...., وأما وجهي فلا يُرى"([4]).

الثاني: أنه يستلزم الجسمية للذات المقدسة والدليل قائم على استحالة الجسمية عليه تعالى, لأن الجسم مخلوق له تعالى, فالقول بجسميته يعني افتقاره إلى مخلوقاته تعالى, وهو مستحيل.

الثالث: أنه يستلزم الجهل فيه تعالى, ولا يعرف مخلوقاته إلا من خلال ملاقاته لهم, وهو مستحيل كذلك.

هذا من ناحية النصّ, وأما من الناحية الواقعية, فإن التاريخ لم يتحدث عن أي نبي ظهر في بني إسرائيل كموسى (عليه السلام), بما فيهم السيد المسيح (عليه السلام) نفسه, إذ مضافًا إلى ما تقدم, فإن المسيحيين يفترضون له الألوهية, وليس مجرد النبوة, كما هو الحال في موسى (عليه السلام).

يضاف إلى كل ما تقدم أن هذه العبارة قد وردت في سفر التثنية, والمفروض أنه من إملاء موسى (عليه السلام), أو من إنشائه, فلا يبقى أي معنى لقوله: "لم يقم بعد"، الدالة صراحة على أن قائلها لم يكن معاصرًا له (عليه السلام), كما هو ظاهر.

الملكوت في دعوة المسيح (عليه السلام):

لا شك أن السيد المسيح (عليه السلام) قد اختصر دعوته الشريفة باقتراب ملكوت السماوات, وكان يبشّر بها تارة بشكل مباشر وصريح, من قبيل قول كاتب إنجيل مرقس: "وبعدما أَسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله, ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله, فتوبوا إلى الله وآمنوا بالإنجيل"([5]).

وتارة أخرى كان يتحدث عن مقتضيات ملكوت الله ومفاعيله, ليقرب الفكرة إلى أذهان الناس, من خلال استخدام الأمثال التقريبية ليتعقلوها, حتى غلب استخدام الأمثال على عظاته وتعاليمه, فاعتقد بعضهم أنه لا يعلّم إلا بأمثال, قال كاتب إنجيل متى: "هذا كله كلّم به يسوع الجموع بأمثال، وبدون أمثال لم يكن يكلمهم"([6]).

وفي مقام بيان علّة استخدام الأمثال في تعليمه, يقول: "فتقدّم التلاميذ وقالوا لماذا تكلمهم بأمثال, فأجاب وقال لهم لأنه قد أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات، وأما لأولئك فلم يُعط"([7]).

ولهذا كان يفسر أمثاله لتلاميذه عندما كان ينفرد بهم, حيث: "وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا, وبدون مَثَل لم يكن يكلمهم، وأما على انفراد فكان يفسّر لتلاميذه كل شيء"([8]).

وقد حاول المسيحيون تفسير الملكوت على أنه ملكوت سماوي, بمعنى أنه في عالم الآخرة, وما بعد الموت, نتيجة اعتقادهم أن السيد المسيح (عليه السلام) هو الغاية, وبه تتم النهاية, ولم يستطيعوا أن يتقبلوا فكرة أنه جاء مبشرًا بغيره من الأنبياء ليقيم الملكوت الموعود, الأمر الذي أثّر سلبًا على مصداقية تفسيرهم, وأوقعهم في مناقضة النصوص, ولم يمكنهم التخلص منها بنحو مُرْضٍ.

لقد حاولوا الاستناد في فهمهم المذكور, إلى عبارة وردت في إنجيل يوحنا, على لسان السيد المسيح (عليه السلام), وهو في جلسة المحاكمة! حين سأله بيلاطس إن كان هو ملك اليهود, "أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أُسلّم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من ها هنا"([9]).

إشكاليات التفسير المسيحي للملكوت:

لا شك أن الملكوت الموعود في كلام السيد المسيح (عليه السلام)، هو نفسه الملكوت الوارد في سفر دانيال، والذي يرأسه شخص أطلق عليه اسم "ابن الإنسان"، فيقول: "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه قدّامه، فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والامم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض"([10])، وأطلق عليه في مكان آخر لقب "المسيح الرئيس"([11]).

ولا ريب في أن المراد بالملكوت: ملكوت أرضي يحكم الارض بقوانين إلهية، وبواسطة رجال صالحين، أطلق عليهم لقب "قديسو العلي"، حيث يقول: "حتى جاء القديم الأيام وأعطي الدين لقديسي العلي وبلغ الوقت وامتلك القديسون المملكة"([12]).

إن الفارق الأساسي بين كلام دانيال وكلام السيد المسيح (عليه السلام)، أن الأول لم يبيّن زمن مجيء الملكوت هذا، بل أبقاه غامضًا، لعل اليهود يعملون على إصلاح شأنهم، ويرجعون إلى جادّة الحق، ليكونوا من جنود الملكوت، شأنهم في ذلك شأن سائر الأمم التي سوف تتّبعه، لأن الإبهام في كثير من الأحيان يشكّل دافعًا للإصلاح، نتيجة احتمال مجيء المتعلق في كل حين، فيبرز عنصر الحذر والخوف لدى الناس، حتى لا يكونوا من الخاسرين.

وأما كلام السيد المسيح (عليه السلام) فهو يؤكد على اقتراب موعد الملكوت هذا، على أساس أنه آخر نبي يسبق مجيء مقيم الملكوت هذا، كما يدل عليه قوله لتلاميذه ساعة ارتفاعه: "إن لي أمورًا كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، ولكن متى جاء ذاك، روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من عند نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية"([13]).

يتبع =

([1]) إنجيل يوحنا: 17/3-4.

([2]) تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا الخضري، ج1 ص146 وما بعدها.

([3]) إنجيل متى: 5/39-44.

([4]) سفر الخروج: 20/33-23.

([5]) إنجيل مرقس: 1/14-15.

([6]) إنجيل متى:13/34.

([7]) إنجيل متى:13/10-11.

([8]) إنجيل مرقس: 4/33-34.

([9]) إنجيل يوحنا: 18/36.

([10]) سفر دانيال: 7/13-14.

([11]) سفر دانيال: 9/25.

([12]) سفر دانيال: 7/22.

([13]) إنجيل يوحنا: 12/16-13.

.

تتمة مقال =

واللافت في سفر دانيال أنه لم يتكلم عن ملك لبني اسرائيل، ولم يعطهم أيّة خصوصية على سائر الشعوب، كما هو الحال في أسفار العهد القديم الأخرى، بل كان يتحدّث أو يحدّثه جبرئيل بعنوان ابن آدم([1])، كما أن كلمة "ابن الإنسان" المتقدمة، والواردة في سياق من تتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة، فقد وردت بعنوان "بارناشا" الآرامية، والتي تعني ابن آدم([2]).

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عدم وجود خصوصية لبني اسرائيل في الملكوت الآتي، مع أن النبي دانيال كان من أنبيائهم زمن السبي البابلي، الأمر الذي يظهر مدى حاجتهم إلى ما يسلّيهم في وحدتهم، ويرفع عنهم مرارة الواقع، ولو عن طريق زرع الأمل فيهم، ومع ذلك لم يمنّهم بأي أمل ليس لهم شأن فيه.

ولعل السيد المسيح (عليه السلام) قد أشار إلى هذه الحقيقة بالذات، حين خاطب اليهود بقوله: "لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمّة تعمل أثماره"([3]).

إن عمل أثمار الملكوت لا يعني سوى تطبيقه، وإقامة العدل في الأرض، وقد بيّن السيد المسيح (عليه السلام) المراد بهذه الحقيقة حين قال لهم في نفس السياق: "أمَا قرأتم الكتب، الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا"([4]).

والحجر الذي رفضه البنّاؤون لم يكن سوى إسماعيل (عليه السلام)، الابن البكر لإبراهيم (عليه السلام)، والذي عمل اليهود جاهدين، تبعًا لكاتب التوراة، على حرمانه من حقوقه التي منحه الله تعالى إياها، لا شيء إلا لأنه يستلزم حرمانهم من حقوق يزعمونها لأنفسهم وهذه مسألة أخرى تحتاج إلى بحث في مقام آخر.

ومهما يكن من أمر، فإن حمل الملكوت على المعنى الروحي والنفسي لا يمكن قبوله ولا الالتزام به، بل لا بد من الالتزام بأنه ملكوت أرضي يتحدث عن حكومة آخر الزمان الإلهية، انسجامًا مع النصوص الإنجيلية نفسها، ووفاقًا لما كان عليه المسيحيون في العصر الأول بعد المسيح، الذين كانوا ينتظرون عودة المسيح إلى الأرض ليحكم العالم في أيامهم([5]).

وبحسب تعبير ول ديورانت: "كان الاعتقاد بنزول المسيح ليطهّر الارض ويقيم ملكوت الله ويبعث الناس بأجسادهم، وبعودته إلى الأرض، هو القاعدة الأساسية للدين المسيحي في أوائل عهده"([6]).

وقد ادّعى عدد من الاشخاص بعد السيد المسيح (عليه السلام) أنهم الفارقليط الذي أخبر عنه يسوع بأنه سيأتي ليقيم ملكوت السماوات([7])، مما يدلّ على أن المراد بالملكوت هو حكومة آخر الزمان كان واضحًا لديهم.

ولعل كل ما تقدم وما سيأتي، من البشارة بالملكوت الآتي، هو الذي دعا بولس إلى زعم أن الإنجيل سرّ لا يفهمه، ولهذا طلب من الناس أن يدعو له ليفهمه، فيقول: "وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله، مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين، ولأجلي لكي يعطى لي كلام عند افتتاح فمي لأعلم جهارًا بسرّ الإنجيل"([8])، وذلك أن كلمة الإنجيل تعني البشارة نفسها كما يفسرها المسيحيون أنفسهم، وتدل عليه عبارات الأناجيل.

أدلة وقرائن أخرى:

قلنا إن مختلف فصول الأناجيل تشتمل على قرائن وأدلة تبين أن وظيفة السيد المسيح (عليه السلام) كانت عبارة عن البشارة باقتراب ملكوت السماوات، وأن من يقيم هذا الملكوت نبي آخر غيره، وليس من بني إسرائيل، بل من إخوتهم، وقد أمر تلاميذه بالكرازة والوعظ، كما كان يفعل سواء عندما أرسلهم إلى المدن الإسرائيلية في حياته، وقال لهم: "إلى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة، وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السماوات"([9])، وكذلك عند ارتفاعه وانتهاء مهمته، عندما تجلّى لأصحابه فقال لهم: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الأب والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به"([10])، وبحسب إنجيل مرقس فإن هذه الوصية كانت أوضح وأصرح: "وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"([11])، وتقدم قبل قليل أن كلمة الإنجيل تعني بشارة الملكوت.

إضافة إلى ما تقدم نذكر بعض القرائن الأخرى التي تدل على أن المراد بالملكوت ملكوت أرضي زماني سيأتي في المستقبل القريب وعلى أساسه تقام حكومة آخر الزمان الإلهية:

فمنها: الصلاة التي أمر التلاميذ، ومن ورائهم كل من آمن به، أن يصلوها، وهي الأخرى تختصر دعوته ووظيفته، فقال لهم: "فصلّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك وليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض"([12])، فلو كان يعني نفسه من إقامة الملكوت، أو كان يتحدث عن ملكوت روحي، كما يقوله المسيحيون، لم يكن لهذه الصلاة أي معنى لأنه سيكون دعاء لتحصيل ما هو حاصل كما هو واضح.

ومنها: أنه في نفس السياق أوصى تلاميذه أن يطلبوا من الله تعالى أن يحقق ملكوت السماوات، وهو يدل على أن الملكوت لم يتحقق في زمانه، ولا على يديه، حيث يقول لهم: "فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس، فإن كل هذه تطلبها الأمم، لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها، لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تزاد لكم"([13]).

ومنها: أنه عندما سكبت امرأة قارورة طيب على رأسه، واغتاظ تلاميذه اعتقادًا منهم أنه إتلاف للمال، إذ كان يمكن بيعه وإعطاء ثمنه للفقراء، قال لهم: ".. الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكارًا لها"([14]).

ومنها: أنه في حديثه عن آخر الزمان، وأن ملكوت السماوات في ذلك الحين، قال لتلاميذه: " ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص، ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى"([15]).

ولا نرى حاجة للتأكيد على أن بشارة الملكوت هذه عامّة لجميع الأمم، وليست خاصة في بني إسرائيل كما هو الحال في رسالة السيد المسيح (عليه السلام)، القائل: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"([16])، وبحسب شهادة إنجيل يوحنا "إلى خاصّته جاء"([17]).

وهذا التعليم هو نفسه الوصية التي أوصى بها تلاميذه، عندما تجلّى لهم، وطلب منهم أن يكرزوا في جميع العالم باقتراب ملكوت السماوات، في إشارة ذات دلالة على أن نبي آخر الزمان مبعوث لجميع الأمم، وليس إلى فئة خاصة كما كان يتصوره اليهود.

يتبع =

([1]) سفر دانيال: 8/17.

([2]) تعليق الآباء اليسوعيين على الفقرة، العهد القديم، ص1875، هامش رقم 11.

([3]) إنجيل متى: 21/43.

([4]) نفسه: 21/42.

([5]) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ج1 ص86.

([6]) قصة الحضارة ج11 ص242.

([7]) المسيح في الانجيل - بحث في لاهوته وناسوته - ص185.

([8]) الرسالة إلى أهل افسس: 19-6/17.

([9]) إنجيل متى: 7-10/5.

([10]) متى: 20-27/19.

([11]) إنجيل مرقس: 16/15.

([12]) إنجيل متى: 10-6/9.

([13]) متى: 33-6/31.

([14]) إنجيل متى: 26/13.

([15]) إنجيل متى: 14-24/13.

([16]) إنجيل متى: 15/24.

([17]) إنجيل يوحنا:1/11.

.

تتمة مقال =

من يقيم الملكوت:

وما دامت وظيفة السيد المسيح (عليه السلام) مقتصرة على الكرازة والوعظ, والبشارة باقتراب ملكوت السموات, مع تأكيده أكثر من مرة أن مقيم الملكوت غيره, فلا بد من ملاحظة ما إذا كان مقيم الملكوت هذا ظاهر المعالم والشخصية في خطابه, أم أنه ترك الأمر مبهمًا, وقابلاً للتأويلات والاجتهادات المتعددة, مما يفسح في المجال ليتقوّل المتقوّلون ما شاؤوا, في ما يتعلق بهذه المسألة.

لا بد قبل كل شيء, من ملاحظة أن بشارته (عليه السلام) كانت عبارة عن "اقتراب الملكوت", وهي ظاهرة بل صريحة بأنه لم يحن وقت الملكوت بعد, وأن زمانه قد اقترب, وهذا ما اتفقت عليه كلمة الأناجيل, حيث لم يرد أن السيد المسيح (عليه السلام) مقيم لهذا الملكوت بنفسه, ولا هو حاصل في زمانه, وهذا يشكّل قرينة هامّة على عدم صحة التفسير المسيحي للملكوت.

تواجهنا في المقام عدة آيات قرآنية شريفة، تتحدث عن أن أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي (صلى الله عليه وآله) معرفة تفصيلية، ناشئة من وجود اسمه وصفته في التوراة والإنجيل:

منها: قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّه عَلَى الْكَافِرِينَ} ([1]).

ومنها: قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}([2]).

ومنها: قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} ([3]).

ومنها: قوله تعالى: **{**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**}**([4]).

والمستفاد من هذه الآيات الشريفة، وكذلك من غيرها، أن معرفة أهل الكتاب بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كانت معرفة يقينية وتفصيلية، ذلك أن معرفة الإنسان بأبنائه ويقينه بهم في قمّة هرم المعرفة، لحضورهم الدائم معه، رافقهم منذ ولادتهم, وعرف كل تفاصيل شؤونهم وشخصياتهم، فإذا كانوا يعرفون النبي بمستوى معرفتهم لأبنائهم، فهو قمة المعرفة واليقين به.

إن هذه المعرفة التفصيلية بصفة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وشخصه ناشئة من إخبار أنبيائهم به وتأكيدهم على هذه المعرفة، حتى وصلت إلى حدّ تكون معرفتهم به بمستوى معرفتهم لأبنائهم، ولم يقتصر هذا الإخبار على الشفهي منه، وإنما ورد التأكيد عليه في التوراة والإنجيل، لكي لا يبقى عذر لمعتذر، ولا حجّة لمتأول، بدعوى عدم وصول خبره إليهم، نتيجة تقادم الزمان، وكتمان الأمر عنهم، وهو ما صرّحت به الآية المباركة الأخيرة، حيث ورد فيها **{**يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل**}**، فان التعبير بالإيجاد يعني أنه لا يحتاج إلى أكثر من الرجوع إلى هذين الكتابين والتأمّل فيهما، بعيدًا عن التعصّب، والخلفيات الثقافية التي تربّوا عليها، وإنما بالنظرة الفاحصة والموضوعية، والباحثة عن الحق، وهذا الإيجاد ليس خاصًّا بزمان دون زمان، بل هو مستمرٌ ما دام هناك توراة وإنجيل، وما دام هناك باحثون عن الحق كذلك، كما يعطيه التعبير بصيغة الفعل المضارع الدّال على التجدد والاستمرار.

والسؤال الذي يواجهنا هنا: هل نجد ما يصدّق هذه الآيات الشريفة في التوراة والإنجيل من بشارة بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، لتتمّ الحجة على اتباع الديانتين، كما قال تعالى: **{**قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**}**([5]).

وفي مقام الإجابة سنقتصر على الحديث في الإنجيل، الذي انحصرت دعوة صاحبه (عليه السلام) على هذه البشارة كما أسلفنا، وأما التوراة فسنكتفي بالنبوءة المتقدمة على لسان موسى (عليه السلام)، والتي حاول المسيحيون تطبيقها على السيد المسيح (عليه السلام)، ورأينا أنه لم يكن تطبيقًا موفّقًا.

النبي الموعود:

إن الخطأ الأكبر الذي وقع به المسيحيون هو تطبيق عناوين النبي والملك والكاهن على السيد المسيح (عليه السلام)، ذلك أنهم علموا أن نبي آخر الزمان يتصف بهذه الصفات الثلاثة مجتمعة، فحاولوا نسبتها إلى السيد المسيح (عليه السلام)، دون أن يلتفتوا إلى أن ذلك مخالف لصريح قانون الكتاب المقدس، الذي حصر الملك في نسل يهوذا، والكهنوت والنبوءة بأبناء هارون من نسل لاوي في بني إسرائيل، كما هو مخالف للواقع التاريخي الذي قامت عليه سيرة اليهود.

وقد صدر الأمر التوراتي بأن لا يتزوج كل رجل إلا من سبط أبيه، ولا يتعدّاه إلى سواه، وعلّل هذا الأمر بقوله: "فلا يتحول نصيب لبني إسرائيل من سبط إلى سبط، بل يلازم بنوا إسرائيل كلٌّ واحد نصيب سبط آبائه، وكل بنت ورثت نصيبًا من أسباط بني إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها، لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه"([6]).

وبناء على ذلك، فإن كان السيد المسيح (عليه السلام)من نسل يهوذا كما ذهب إليه المسيحيون فلا يحق له النبوءة ولا الكهنوت وإنما له الملك، وأما إذا كان من نسل سبط هارون كما هو الحق فهو نبي وليس ملكًا.

إن منشأ هذا التطبيق الخاطئ هو أن كلمة المسيح, قد وردت في الكتاب المقدس بهذه المعاني الثلاثة أعني الملك والنبوءة والكهانة، وهي لا يمكن أن تنطبق على أحد في بني إسرائيل بصريح الكتاب المقدس.

ولقد أكّد السيد المسيح (عليه السلام)في مختلف المناسبات أنه نبي وليس ملكًا، بل إن بعض اليهود حاولوا ذات مرة أن يخطفوه ليجعلوه ملكًا عليهم، بعدما رأوا ما صنعه من معجزات ففر منهم وانصرف([7])، بل قد امتنع من القضاء بين المتخاصمين، قائلاً لمن جاء شاكيًا على أخيه، "يا إنسان من أقامني عليكما قاضيًا أو مقسمًا!؟"([8])، كما امتنع عن إقامة الحدّ على المرأة الزانية([9])، مع أن لهذه المشاكل أحكامًا في شريعة موسى (عليه السلام) يجب تنفيذها.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنه (عليه السلام) أراد أن يثبت لهم بطريقة عملية أنه مجرد بشير لإقامة ملكوت السماوات, وقد عالجنا هذه المسألة بالتفصيل في كتاب "المسيح في الإنجيل - بحث في لاهوته وناسوته-"، فيمكن لمن أراد التوسّع أكثر أن يرجع إليه هناك.

وفي مقام بيان حقيقة النبي الموعود نجد أن السيد المسيح (عليه السلام) قد استخدم كافّة الأساليب الممكنة لإظهاره لبني إسرائيل، فقد بدأ في المرحلة الأولى من دعوته الشريفة بذكر ملكوت السماوات، وبيان حقيقته، وأنه ملكوت أرضي, بمعنى أنه حكومة تدير شؤون العالم، على أساس أحكام الله تعالى، من خلال الأمثال الكثيرة، التي أوردها لهم في مواعظه، بغية تقريبه إلى الأذهان.

هذا مع أن أصل مجيء النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان مأنوسًا في أذهانهم، وكانوا ينتظرونه بفارغ الصبر، وهذا ما يدل عليه عدد من النصوص، من قبيل قول الإنجيل: "وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت، فاعترف ولم ينكر، وأقرّ إني لست أنا المسيح، فسألوه إذن ماذا، إيليا أنت؟ فقال: لست أنا، النبي أنت؟ فأجاب: لا"([10]).

وهو حوار صريح بأنهم كانوا يعرفون النبي الموعود وينتظرون مجيئه، كذلك كثير من الناس لما سمعوا بشارته، التي فسرها كاتب الإنجيل خطأ بالروح القدس، "قالوا هذا بالحقيقة هو النبي، آخرون قالوا هذا هو المسيح، وآخرون قالوا ألعل المسيح من الجليل يأتي"([11]).

إن من أهم صفات النبي الموعود إنه يأتي لجميع الناس وليس إلى بني إسرائيل فقط، وهذا كانوا يعرفونه أيضاً، فإنهم بعدما رأوا معجزة من معجزاته "قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم"([12])، مع أنه كان (عليه السلام) قد نفى هذه الصفة, أعني صفة العموم في دعوته لسائر الناس, عن نفسه، حينما جاءت امرأة كنعانية متوسلة إليه أن يشفي ابنتها، فقال لها: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"([13])، وشهد بذلك أيضاً كاتب إنجيل يوحنا حين قال: "إلى خاصّته جاء وخاصته لم تقبله"([14]).

وفي مرحلة ثانية من مراحل الدعوة بيَّن لهم أن هذا النبي ليس من بني إسرائيل أصلاً، مشيرًا إلى أنه من نسل إسماعيل (عليه السلام)، فقال لهم: "أما قرأتم في الكتب، الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية.، من قِبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره"([15]).

ولا يمكن أن يكون المراد بالأمة المسيحيين، لأن المبشرين بدعوته (عليه السلام) هم بنو إسرائيل دون سواهم، وانفصال المسيحيين عن اليهود قد تمّ في نهاية القرن الأول للميلاد([16])، بعد تدخّل بولس ودعوته غير اليهود إلى الدخول في الدين الجديد، خلافًا للحواريين وللسيد المسيح (عليه السلام).

وغير خفي أن الملكوت سيتم على يد النبي الآتي إلى العالم، والذي كان اليهود يرجون أن يكون منهم، وهذا ما تقتضيه المثلية وكون المعجزة في فمه الواردة في سفر التثنية، والتي تقول: "أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به"([17])، وتقدم الحديث عنها، فأظهر السيد المسيح (عليه السلام) بكلامه لهم أن النبي الذي سيقيم الملكوت وأمته من غير بني إسرائيل، بل هو ينتسب إلى الحجر الذي رفضه البناؤون، حيث كنَّى به عن إسماعيل (عليه السلام)، الذي حاول اليهود أن يبعدوه عن واجهة الأحداث، بكل ما أوتوا من قوّة مكر وخداع، محاولين تقديم إسحاق (عليه السلام) عليه، لا لشيء إلا لأنهم من نسله، وفي ذلك بعض كرامة لهم في ما يزعمون.

يتبع =

([1]) سورة البقرة الآية: 89.

([2]) سورة البقرة الآية: 146.

([3])سورة الأنعام الآية: 20.

([4]) سورة الأعراف الآية: 157.

([5]) الأنعام من الآية 149.

([6]) سفر العدد: 36/7-8.

([7]) إنجيل يوحنا: 6/15.

([8]) إنجيل لوقا: 12/13-14.

([9]) إنجيل يوحنا: 8/10-11.

([10]) إنجيل يوحنا: 1/19-21.

([11]) إنجيل يوحنا: 7/40.

([12]) إنجيل يوحنا: 6/14.

([13]) إنجيل متى: 15/24.

([14]) إنجيل يوحنا: 1/11.

([15]) إنجيل متى: 21/42-43.

([16]) موسوعة تاريخ اوروبا العام، ج1،ص225.

([17]) سفر التثنية: 18/18.

.

تتمة مقال =

اسم النبي في الإنجيل:

وفي المرحلة الثالثة والأخيرة، وعلى أبواب أورشليم، في آخر رحلة له، أعلن السيد المسيح (عليه السلام) عن اسم النبي الموعود، ولكن كتّاب الأناجيل تصرفوا به من خلال ترجمته إلى اللغة اليونانية، كما هي عادتهم في ترجمة أسماء الأعلام، ثم أضاف عليه النسّاخ إضافات أثّرت على فهم معناه الأصلي، بعدما تثبتت العقائد المسيحية، التي جعلت شخص السيد المسيح (عليه السلام) محور البشارة والدعوة.

إلا أن هذه الإضافات، وتلك الترجمات لا تمنع من ظهور اسمه (صلى الله عليه وآله) في الإنجيل مع قليل من التأمّل والدقة.

وهنا لا بد من تسجيل ملاحظة هامة، وهي أن النبي الموعود، وعلى الرغم من كونه محور دعوة السيد المسيح (عليه السلام) وغايتها، وتعرض لها بالبيان والشرح في أورشليم، إلا أن الأناجيل الأزائية الثلاثة (متى, ومرقس, ولوقا) لم تذكر الخطاب والموعظة التي ذكر فيها السيد المسيح (عليه السلام) اسم النبي أصلاً، والذي ذكرها خصوص إنجيل يوحنا، وهي آخر موعظة له قبل ارتحاله عن هذا العالم، وهذا من المفارقات الغريبة.

ينبغي أولاً أن نستعرض النصوص التي ندّعي ورود اسمه الشريف (صلى الله عليه وآله) فيها، وهي أربعة:

الأول: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًّا آخر فيمكث معكم إلى الأبد" ([1]).

الثاني: "إن أحبّني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً، الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي، والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلّمكم كل شيء ويذكّركم بكل ما قلته لكم"([2]).

الثالث: "ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي" ([3]).

الرابع: "إن لي أمورًا كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم إلا من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية"([4]).

إن محل البحث في المقام هو كلمة "المعزي" وهي ترجمة لكلمة "بيركليتوس" أو "باراكليتوس" اليونانية، والفرق بينهما أن الأولى تعني محمود أو أحمد أو كثير الحمد، وأما الثانية فتعني المدافع أو المحامي أو المعين أو المعزي الخ...

ذهب عامة المسيحيين إلى أن الأصل اليوناني للكلمة هو "باراكليتوس"، ولكن بعضهم اعترف بأن "بيركليتوس" واردة ومحتملة أيضاً، ولكنه اعتبرها قراءة شاذّة للإنجيل([5]).

لقد عالجنا هذا الموضوع بشكل موسع، في كتاب "المسيح في الإنجيل –بحث في لاهوته وناسوته"، ولا نريد التفصيل فيه هنا، ولكنّنا نورده على نحو الإجمال، ويمكن لمن أراد التوسع أكثر الرجوع إليه هناك، فنقول:

إن حروف العلة، وهي الألف والواو والياء، لم تكن موجودة في اللغة اليونانية قبل القرن الخامس الميلادي، وعليه فإن كلمة باركليتوس هي نفسها بيركليتوس في رسم الكلمة([6])، وعليه فتصح قراءة الكلمة بالصيغتين بدون إشكال.

هذا مضافًا إلى أنه لو فرض عدم صحة القراءة فيهما، فاحتمال وقوع الخطأ في القراءة عند المتمكن في اللغة وقواعدها ممكن وطبيعي، بعد عدم وجود فرق بينهما في الرسم، فضلاً عن غير العالم المتمكن بها، وقد شهد المسيحيون بأن كاتب الإنجيل لم يكن يونانيًا، بل كان يهوديًا فلسطينيًا([7])، ولغة الإنجيل نفسه تكشف عن عدم عمق ثقافته اليونانية([8])، فلا مجال لترجيح صيغة باراكليتوس استنادًا إلى ذلك.

إلا أن ذلك لا يعني استواء الصيغتين في ما هو المراد من الكلمة، بل هناك من القرائن ما يدل على أن الصحيح هو كلمة بيركليتوس الواردة في النص، والتي تعني "أحمد".

منها: أن كلمة المعزي وأخواتها المستخدمة في الترجمة العربية للنص، على أساس أن الكلمة في اليونانية هي "باراكليتوس" هي صفات، بخلاف كلمة "بيركليتوس" فإنها اسم وليست صفة، وتعليقًا على هذه الترجمة، قال الأب متى المسكين: "ليست هذه الكلمة (أي المعزي) ترجمة دقيقة للأصل اليوناني، ولكنها ترجمة جزافية للكلمة الأصلية التي هي (الباركليت)، وكان يجب أن تترك كما هي، لأن الباركليت هنا اسم وليس صفة"([9]).

وقال في مقام آخر: "في الترجمة العربية لإنجيل يوحنا لم يذكر المترجم اسم (الباركليت) بهذا اللفظ المعربة حروفه، وهذا نقص معيب، وتصرف من المترجم، حيث ترجم معناها من اليونانية إلى معناها بالعربية وجعلها اسم صفة (المعزي).

فاذا فحصنا كلمة (الروح) نجدها تأتي في الإنجيل في اللغة اليونانية الأصلية، لغويًا ومن جهة النحو، كاسم مجرد أي اسم معنوي يفيد المعنى العام، ومحايد الجنس (لا مذّكر ولا مؤنث).

وأما اسم الباركليت فيأتي كاسم علم شخص مذكر، لذلك يعتبر إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد الذي أعطى للروح القدس - لغويا من جهة النحو- صفته الشخصية، إذ نقله لغويًا من دائرة المجردات كقوّة إلى ذات مشخصة" ([10]).

ويدل على أنها اسم علم مذكر أيضاً، ورودها في اليونانية منتهية بحرف السين، واليونانية تزيد حرف السين في آخر أسماء الأعلام([11])، وهذا كله كاشف عن أن الصيغة الأصلية للكلمة اليونانية هي "بيركليتوس" والتي تعني اسم العلم "أحمد"، لا "باراكليتوس" التي تعني "المحامي والشفيع" ونحوهما.

يضاف إلى ما تقدم، أن كاتب الإنجيل قد فهم أن الكلمة اسم علم في العبرية، ولذلك نقلها بلفظها إلى اليونانية، وأدخل عليها حرف السين للدلالة على ذلك، فقد نقل الدكتور أحمد حجازي السقا عن الأب متى المسكين قوله:

"إن كلمة البارقليط تنطق بالعبرية هكذا (البيرقليط) وهذا النطق عينه هو الذي اشتق منه نطق الكلمة باللغة العربية (البرقليط) لأن اللغة العربية تميل إلى الأخذ من اللغة العبرية القديمة، أكثر من اللغة اليونانية، ووردت بهذا المعنى في كتابات الآباء الرسوليين وبالذات في رسالة برناباس"([12]).

وبهذا يتبين أن اسم النبي الأعظم أحمد (صلى الله عليه وآله) قد ورد صريحًا في الإنجيل، وهو المقصود بإقامة ملكوت السماوات، وهذا تصديق قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}([13]).

والحمد لله رب العالمين

([1]) إنجيل يوحنا: 14/15-16.

([2]) إنجيل يوحنا: 14/23-26.

([3]) إنجيل يوحنا: 15/26.

([4]) إنجيل يوحنا: 16/12-13.

([5]) مدخل إلى المحور الإسلامي المسيحي، الأستاذ الحداد، ص392.

([6]) نقد التوراة، ص 270-271.

([7]) تفسير الكتاب المقدس، ج5، ص228.

([8]) صوفية المسيحية- الانجيل بحسب يوحنا, ص59.

([9]) شرح إنجيل القديس يوحنا، ج2 ص939.

([10]) المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا، ص247.

([11]) نقد التوراة، ص270.

([12]) نقد التوراة، ص269، عن الباركليت الروح القدس في حياة الناس، ص12-13.

([13]) سورة الصف: الآية 6.

الهوامش

* باحث إسلامي ومدرّس في الحوزة العلمية.

تأثّر المواقيت والأهلّة بالظروف الجوية

م. محمد علي الصائغ

المواقيت والأهلة

ومدى تأثّرها بالظروف الجويّة وبالارتفاع عن سطح البحر

المهندس محمد علي صائغ*

الشروق والغروب

تعتمد مواقيت الصلاة على موقع الشمس في الفضاء بالنسبة للراصد على الأرض، فأوقات الشروق والغروب والظهر (زوال الشمس) مرتبطة بشكل مباشر بالموقع الظاهري للشمس.

كما وأن تحديد أول وقت الفجر وأول وقت العشاء يعتمد على حركة الشمس وموقعها بشكل غير مباشر.

ومن الناحية العلمية يمكن تحديد الموقع الحقيقي للشمس بغاية الدقة في أي وقت من اليوم، ولكن هذا شيء والموقع الظاهري شيء آخر.

والمقصود بالموقع الظاهري: الموقع المرئي (وهو الذي نشاهده وعليه المناط في تحديد الشروق والغروب)، إذ يوجد فرق طفيف بينهما نتيجة لبعض المؤثرات التي تدخل في الحسابات، ومن أهم هذه المؤثرات الانكسار الضوئي، والذي يعتمد بدوره على المتغيرات الجوية، مثل حرارة الهواء وكثافته وضغطه ونسبة الرطوبة وارتفاع المكان، كما يتأثر الانكسار الضوئي بالأحوال النسبية من حيث نوعية الهواء ودرجة تلوثه، وقد وُجد في مدن معينة من الهند أن الانكسار الضوئي الأفقي أقل بمقدار ثلاثة دقائق قوسية من متوسط القيمة المعمول بها، وهي أربعة وثلاثين دقيقة قوسية، وهكذا فمن المتوقع حدوث تغيرات من موقع لآخر، وهذا ما يؤدي إلى تغيير محلي في المواقيت كما سيأتي.

ولكن ما هي العوامل المؤثرة على الانكسار؟ وهل توجد عوامل أخرى تؤثر على التبكير في رؤية حافة قرص الشمس العليا صباحًا إيذانًا بشروق الشمس، أو التأخير في غروبه إيذانًا بغروب الشمس المرئي؟.

نقول: يدخل في حساب المواقيت عاملان مهمان إضافيان هما:

1- أثر الغلاف الجوي.

2-أثر الارتفاع عن سطح المكان.

ولهذين العاملين دور في تحديد المواقيت حسابيًا لأي موقع تتضح فيه العلامات، وهو ما يلاحظ عند المقارنة بين المواقيت المنشورة في التقاويم الدقيقة وموقع الشمس المرئي.

والدراسة التالية توضح سبب عدم المطابقة في مكان ما في أيام عديدة من السنة، وقد كُتبت نتيجة لاعتراض سماحة آية الله الأستاذ الشيخ مفيد الفقيه حفظه الله على بعض المواقيت، والتي لسماحته رأي فقهي فيها وخصوصًا وقت الغروب، والذي يبدو أن سماحته لشدة اهتمامه بالمواقيت يراقبه ويقارنه مع التقويم بشكل دائم، وذلك لأنه الظاهرة الوحيدة التي يمكنه مراقبتها باستمرار، يساعده على ذلك إطلالة مدرسته العامرة على مغرب الشمس.

الغلاف الجوي

يحيط بالكرة الأرضية غلاف جوّي مكوَّن من عدة غازات، تمتد لمسافات عالية، وتنخفض درجة حرارة الهواء خلال الأميال القريبة من الأرض، وهي المنطقة التي تتكون فيها السحب، وتسمى منطقة التروبوسفير (المنطقة المناخية)، وهي تمتد من ثمانية كيلومترات فوق المنطقة القطبية إلى ستة عشر كيلومترًا فوق المنطقة الاستوائية، وتضم ثمانين بالمائة من كتلة الغلاف الغازي المحيط بالأرض، وتصل نسبة الرطوبة فيها إلى أربعة بالمائة، والحرارة تتناقص كلما ارتفعنا بمقدار درجة مئوية لكل مائة وخمسين مترًا، ويكون الهواء في هذه المنطقة متقلبًا، إذ يحتوي على تيارات صاعدة وأخرى هابطة، وتنقص كثافة الهواء كلما صعدنا إلى أعلى، وتنقص كمية الهواء في الغلاف الجوي إلى نصف قيمتها إذا صعدنا ثلاثة أميال ونصف الميل عن سطح الأرض، ثم تنقص بقدر نصف المتبقي أي إلى الربع إذا ارتفعنا إلى سبعة أميال عن سطح الأرض، وهكذا تصل كثافة الهواء إلى جزء من مليون جزء من قيمتها على ارتفاع ستين ميلاً عن سطح الأرض. هذا هو السبب في امتداد الغلاف الجوي لارتفاعات عالية جدًا.

ضوء الشمس

تتميز الشمس بحرارتها العالية التي تصل إلى خمسة آلاف درجة على السطح، وتندفع ألسنة اللّهب منها في الفضاء بسرعة تزيد عن أربعمائة كيلومتر في الثانية مشعة الحرارة في جميع الاتجاهات، ولا يصل من هذه الحرارة إلا جزء ضئيل إلى الأرض، أما الباقي فيجري امتصاصه من قِبل غازات الجو العليا.

يتألف ضوء الشمس من سبعة ألوان تختلف في أطوالها الموجية، وأقصرها البنفسجي، فالنِّيلي، فالأزرق، فالأخضر، فالأصفر، فالبرتقالي، ثم الأحمر وهو أطولها موجة.

والهواء مرشِّح عظيم لمركبات الضوء التي تستقبلها العين البشرية، وإلى هذه الخاصية تُعزى ظاهرة الشفق بلونيها الأحمر والأزرق، وزرقة السماء، واصفرار الشمس، والقمر عند الغروب والشروق، ولو لم يكن الغلاف الجوي محيطًا بالأرض لأعقب الظلام الغروب مباشرة.

خداع البصر

إذا وصلت حزمة ضوء صادرة من الشمس إلى العين لأثَّرت عليها بما نسميه الضوء الأبيض، هذا الضوء يتكون من سبعة ألوان كما مرَّ معنا، وهي ألوان الطيف، ابتداء من البنفسجي وانتهاء بالأحمر وهو أطولها موجة.

تتوقف الألوان على طولها الموجي، ولكنها بالنسبة للعين تتوقف على الإحساس الذي تسببه الموجات الضوئية، فقد تختلط الألوان فتنتج في العين ألوانًا أخرى، فمثلاً اختلاط الأزرق مع الأصفر ينتج لونًا اخضر، وهذا الإحساس يفسِّر ما نراه في السماء من مناظر. فمثلاً السحاب الذي تسطع عليه أشعة الشمس يظهر ناصع البياض إذا كانت الشمس خلف المشاهد، ونفس السحاب بمكوناته ولونه الأصلي إذا ما وقع في ظل سحاب مظلم يُرى مظلمًا، وقد تبلغ ظلمته درجة تدعونا لوصفه بالسواد، كما أن السحب الرقيقة تسمح بمرور كمية من الضوء يكفي لإضاءة السحب التي تقع في ظلها، في حين أن السحب التي لا يسمح سمكها إلا بمرور قدر ضئيل من ضوء الشمس والنفاد إلى السطح الأسفل تبدو في ظلام الليل الدامس.

كما أن الدخان الذي تعوَّدنا على أن نسميه أسود، قد يبدو للعين ابيض إذا كان وراءه ستار مظلم، وعادة ما يظهر الدخان باللون الأزرق إذا نظرنا إليه عبر أشعة الشمس، حيث أن الدخان يعيد توزيع ضوء الشمس الساقط عليه، في حين أن الشمس تظهر حمراء لمن ينظر إليها خلال الدخان نفسه.

وهذه الظاهرة يجب أخذها بالاعتبار وبجدية، وخصوصًا عند رصد هلال أول الشهر في سواحل بلاد الشام (حيث أنها مطلَّة على الغرب) إذ إن بقايا دخان الطائرات المتقطع القريب من الأفق قد يبدو على شكل هلال، فيشتبه الرائي غير الخبير، ويختلط الأمر عليه فيشهد برؤية الهلال.

يتبع=

.

تتمة مقال = المواقيت والأهلة وتأثرها..

انكسار الضوء

إذا سار شعاع من خلال وسط شفاف متجانس كالهواء، إلى وسط شفاف متجانس آخر أكثف منه كالماء، فإن الضوء ينعطف فجأة نحو خط التعامد بين الوسطين، وعلى العكس فإن انتقال الأشعة من وسط أكثر كثافة إلى وسط أقل كثافة يجعل الشعاع ينحرف بعيدًا عن خط التعامد.

وتُعرف عملية انحراف الأشعة الضوئية في الفيزياء بظاهرة انكسار الضوء، وسببه اختلاف سرعة الضوء في المادتين، وهذه الظاهرة من الممكن ملاحظتها عند النظر إلى قطعة معدنية في قعر حوض ماء، فإنها تبدو في غير مكانها.

أما في المعنى الفلكي الخاص، فإن الانكسار هو الانحناء الحادث داخل الغلاف الجوي في مسار الشعاع القادم من الجرم السماوي، فإذا ما مرَّ شعاع ضوئي خلال الحد الفاصل بين وسطين مختلفي الكثافة من الناحية الضوئية، فإن هذا الشعاع يعاني من الانكسار أي من تغيير في مساره، وقيمة الانكسار تزداد كلما زاد فرق الكثافة، وتزداد أيضًا كلما زادت زاوية السقوط، أما إذا كان السقوط عاموديًا على الحد الفاصل بين الوسطين فلا يحدث أي تغيير في المسار.

أثر الانكسار على الموقع الظاهري للشمس

إن وجود الغلاف الجوي يضطرنا لدراسة انكسار الضوء، وأثر ذلك على موقع الشمس الظاهري عند الغروب والشروق، وكذا في دراسة ظاهرتي الشفق والغسق وزرقة السماء وحمرة الغروب.

ولنفرض أن الأرض مسطحة، وأن الغلاف الجوي متجانس التكوين ذو ارتفاع محدد، وأن المطلوب رصد قرص الشمس أو نجم ما عند طلوعه، فالشعاع الصادر ينتقل من الوسط الخارجي - وهو قليل الكثافة - إلى سطح الأرض حيث الهواء، وهو أكثر كثافة، لذا فإن الأشعة ستنحرف باتجاه التعامد، ويظهر الجسم في الاتجاه الذي وصلت منه الأشعة إلى عين الناظر، وهو ما يُسمى بالموقع الظاهري، وهو أعلى من موقعه الحقيقي.

ولو كان الهواء متجانسًا، لكان من السهل نسبيًا تحديد انحراف أية أشعة بصورة دقيقة، ولكن الهواء غير متجانس، وكثافته تزداد كلما اقتربنا من الأرض، لذلك فإن الأشعة الصادرة من أي جسم في الفضاء الخارجي يرصد من الأرض، ستتعرض لسلسلة انكسارات تبعًا لاختلاف كثافة طبقات الهواء التي قطعها، والتي تعطي لمسارها شكلاً منحنيًا بالنسبة إلى عين الناظر على الأرض، فتبدو الأشعة كأنها قادمة من اتجاه مماس للجزء الخارجي من ذلك المنحنى.

وبعبارة أخرى يمكن اعتبار الغلاف الجوي الأرضي الذي تقلّ فيه الكثافة بالارتفاع عن سطح الأرض كقشور مركزية مختلفة الكثافة، لذلك يعاني الشعاع القادم من الجرم السماوي عند مروره من قشرة إلى أخرى انحرافًا صغيرًا في مساره، وفي النهاية يكون هناك انحناء دائم في مسار الشعاع.

ويعتمد مقدار الانكسار على درجة حرارة الهواء والضغط الجوي، وبمقدار أكبر على البعد السمتي (وهو بعد الجسم المرصود عن سمت الرأس حيث يكون البعد السمتي للجرم صفرًا عند مروره على الزوال والبعد السمتي تسعين درجة عندما يكون على الأفق).

وكلما زاد الضغط زاد الانكسار، وكلما زادت الحرارة قلّ الانكسار، وكلما زاد البعد السمتي (أي صار الجرم قريبًا من الأفق) زاد الانكسار، إذ أن الجسم المرصود فوق قمة الرأس يقطع طبقة محددة من الهواء، بينما الجسم المرصود في الأفق يمرّ عبر مسافات كبيرة من الهواء، حيث يعبر مسارا من الهواء أطول بمقدار أربعة وثلاثين مرة منه عندما يكون فوق الرأس.

وهذه المشكلة تنهض أيضًا عندما نتحرى رؤية الهلال في أول ليلة من الشهر، إذ علينا رصد هلال ضعيف النور وقليل الارتفاع عبر هذه الطبقة الكثيفة من الهواء مع ما تحمل من غبار ورطوبة وغيرها من الملوثات الضوئية كما سيأتي.

إن متوسط قيمة الانكسار هو أربعة وثلاثين دقيقة قوسية عندما تكون الشمس على الأفق وتكون صفرًا عند الزوال.

بمعنى أن الشمس تصبح مرئية عند الأفق عندما تكون حافتها العليا تحت الأفق بمقدار أربعة وثلاثين دقيقة قوسية، كما أنها تختفي عندما تكون حافتها العليا تحت الأفق بمقدار أربعة وثلاثين دقيقة قوسية.

تأثير ارتفاع المكان على رؤية ظاهرتي الشروق والغروب

تشير الدراسات إلى أن الشخص الواقف في مكان منبسط يستطيع أن يرى دائرة نصف قطرها حوالى ثلاثة كيلومترات ونصف من ارتفاع متر واحد، أما الشخص المتوسط القامة فيستطيع أن يرى دائرة نصف قطرها حوالى أربعة كيلومترات، وهو ما يسمى بالأفق الظاهري أو الأفق الترسي.

أما لماذا لا يرى أكثر من ذلك؟ فلأنه يعود إلى انحناء سطح الأرض ولكي يتمكن من رؤية رقعة أكبر عليه أن يرتقي مرتفعًا، وهذا ما يفسر رؤيتنا من بيروت أشباح البنايات العالية في صيدا وهي التي تبعد حوالي أربعين كيلومترًا، وبعبارة أخرى يزداد الأفق المرئي سعة كلما زاد الارتفاع، فعلى ارتفاع مائة متر نستطيع أن نرى أفقًا

على امتداد دائرة نصف قطرها ستة وثلاثون كيلومترًا، أما على ارتفاع أربعمائة متر فنرى أفقًا على امتداد دائرة نصف قطرها ثمانية وسبعون كيلومترًا، وعلى ارتفاع ألف متر نرى أفقًا على امتداد دائرة نصف قطرها مائة واثنتا عشرة كيلومتر.

ومنه يتبين أن المُشاهِد الذي يكون على قمة جبل، سيرى شروق الشمس قبل المُشاهِد الذي يرصدها من على سطح البحر، علمًا بأن الأوقات المذكورة في التقويم محسوبة لمستوى سطح البحر.

وفي لبنان وحيث إن بعض المناطق الجبلية العالية مطلة على البحر مباشرة، فإنها تشاهد غروب الشمس متأخرًا، أما الشروق فيتأثر بسلاسل الجبال الحاجزة شرقًا، لذا سيتأخر شروق الشمس المرئي فيها، وهذه المسألة بحاجة إلى نظر فقهي، خصوصًا وأن القرى أو المدن الجبلية لا تقع على ارتفاع واحد بل إن القرية الواحدة قد تمتد على السفح باتجاه القمة.

وهذه المشكلة ليست موجودة في صنعاء مثلاً، التي تقع على هضبة واسعة، ولكن المشكلة تتضح في هذه المناطق عند أطرافها المطلة على السهول.

والمفهوم من الدراسات العلمية والعملية أن مراقبة الشروق أو الغروب، تتأثر برصدها في الارتفاعات العالية، إذا أمكن مشاهدة سقوط القرص في الأفق، كما يحدث في لبنان عند الغروب لمشاهدٍ على جبل يطل على الساحل ويرى منه الغروب.

أما ظاهرة الشفق والغسق (الفجر والعشاء) فلا يحصل لها تأثير يُذكر إذا كان الارتفاع أقل من ألفي قدم (حوالى ستمائة متر).

وغروب الشمس في بنت جبيل(ارتفاعها سبعمائة وسبعون متر) يزداد بمقدار خمسة دقائق طيلة العام عن غروب الشمس في بلدة الناقورة الساحلية القريبة منها، أما الشروق فلا يمكن التأكد منه لوجود الجبال شرقًا، ولكنه يبكر بمقدار خمس دقائق أيضًا.

أما في بعلبك (ارتفاعها ألف ومائة وثلاثة وسبعون مترًا) فالمشكلة أشد وطأة، إذ لا يمكن مراقبة الشروق أو الغروب نظرًا لوجود الجبال شرقًا وغربًا، ولكن الشروق يبكر بمقدار ست إلى سبع دقائق، والغروب يتأخر بمقدار ست إلى سبع دقائق وذلك تبعًا للفصل من السنة.

وفي تل معزول، أو جبل منفرد، أو من طائرة ترتفع عموديًا يمكن ملاحظة التبكير بالشروق والتأخير في الغروب بسبب سعة الأفق المرئي، وبالتالي زيادة الانحدار الذي لا يشاهده عادة الشخص الواقف على ساحل البحر.

ومما تقدم يتضح أن من يقطن في الطوابق العليا من ناطحات السحاب سيرى شروق الشمس أبكر من الساكن في الطابق الأرضي، كما وأنه يرى سقوط القرص متأخرًا، وقد تفحصنا هذا في الكويت من أحد الأبراج العالية ووجدناه واضحا.

ويدَّعي بعض الباحثين أنه قد اختبر كثيرًا فلاحظ أن الناظر إذا كان بعيدًا عن البحر بمقدار عدة كيلومترات، فإنه عند الغروب يرى القرص يسقط ويستتر، فإذا تحرك باتجاه البحر والغروب بسرعة بعد استتار القرص في البعد المزبور فإنه حين أخذه في الاقتراب إلى ساحل البحر سوف يرى وكأن قرص الشمس يرتفع فوق الأفق ويظهر مرة أخرى بعد استتاره حينما كان على ذلك البعد المفترض، وذلك بسبب كور الأرض (كروية الأرض)، فالواقف على شاطئ البحر يمكنه أن يرى السفينة التي على بعد ثمانية كيلومترات، إلا أنه يرى أعاليها لا غير، ثم بعد ذلك وعند الاقتراب أكثر فأكثر يراها بأكملها. (ولكن لم يتسنَّ لنا التحقّق من ذلك).

والخلاصة:

يتضح مما سبق أن ظاهرتي الشروق والغروب المرئيين تتأثران بالضغط الجوي ودرجة الحرارة والرطوبة والارتفاع عن سطح البحر، وهو ما يُفسِّر عدم مطابقة المواقيت المرصودة مع التقويم حتى لو كان الراصد واقفًا على سطح البحر، علمًا بأن المواقيت مصحَّحة بالنسبة للانكسار ومحسوبة للظروف القياسية من حرارة وضغط.

واللافت أن بعض المراكز الإسلامية في (ديترويت) توصي بالاحتياط بمقدار عشر دقائق بعد شروق الشمس المذكور في التقويم، وذلك لغرض أداء الصلاة فيها وعدم اعتبار الشمس قد طلعت بعد.

قد يتبع في العدد القادم إنشاء الله البحث عن: رصد ظاهرتي الشفق والغسق، ورصد الهلال، وآلية الإبصار، وتكيّف العين للرؤية ليلاً.

انتهى

الهوامش

* باحث في الهيئة والمواقيت والأهلة.

التوازن الفردي والاجتماعي

الشيخ أكرم جزيني

الشيخ أكرم جزيني *

قال إمامنا زين العابدين (عليه السلام) في دعاء مكارم الأخلاق:

اللهم صلِّ على محمد وآله... وأعزّني ولا تبتلني بالكبر، وعبِّدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب، وأجرِ للناس على يديَّ الخير ولا تمحقه بالمنّ، وهبْ لي معالي الأخلاق واعصمني من الفخر.

اللهم صلِّ على محمد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تُحدِث لي عزًا ظاهرًا إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها([1])...

التوازن بين الظاهر والباطن:

هذه الفقرات من الدعاء تسلِّط الضوء على مسألة هامة جدًا تتعلَّق بمسيرة الإنسان في هذه الحياة، وهي مسألة التوازن بين الصفات الباطنية والسلوكيات الظاهرية، حيث إن التوازن يضمن للإنسان السير بشكل مستقيم، ويؤمِّن له الوصول إلى الغايات النبيلة التي ينشدها، في حين أن فقدان التوازن يؤدي إلى الاختلال والضياع والانحراف عن السبيل والسقوط في المتاهات!!

والمستفاد من كلمات الإمام (عليه السلام) أن العزَّة في الباطن يفسدها الكبر في الظاهر، والعبادة في الباطن يفسدها العجب في الظاهر، والعطاء في الباطن يفسده المنُّ في الظاهر، ومثلها سائر أعمال الخير والبِر التي تحتاج إلى التوازن كي تؤثِّر أثرها في كمالات النفس والروح، فعندما يزداد حجم العزة -مثلاً- في كفة ميزان النفس يُثقل تلك الكفة، فترتفع بالمقابل الكفة الأخرى وهي تحمل قدرًا من الكبر..

ومن هنا نجد الإمام (عليه السلام) يطلب من الله تعالى أن يحُول دون ارتفاع الكفة الثانية بالكبر أو العجب أو المنِّ ونحوها، فيقول (عليه السلام): (ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تُحدِث لي عزًا ظاهرًا إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها)، حتى لا تتحول الرفعة والعزة التي يمنحها الله تعالى لعبده كبرياء وعجبًا ونحو ذلك..

التوازن حقيقة كونية:

ثم إن مسألة التوازن واقعًا ليست محصورة بين النفس والسلوك بل هي حقيقة تلفُّ الكون بأسره، بدءًا من الذرة وانتهاءً بالمجرة..

فحركة الكون قائمة على التوازن، ولولا التوازن لتداعى الكون..

وتركيبة الكائنات كما حركتها قائمة على التوازن، ولولا التوازن لاختلَّت وسقطت..

بل حتى الأبنية التي يبنيها الإنسان لا يمكن أن تثبت في مواضعها إلا بتوازن في هندستها، وإلا لانهارت وسقطت..

وكذا المركَبَات التي يصنعها الإنسان لا يمكن أن تسير أو تطير إلا إذا كانت تركيبتها متوازنة، وإلا لانحرفت أو سقطت وارتطمت..

وعلى مثل هذا فقِس..

فلولا التوازن لتداعى الكون، وعمَّت الفوضى، وانعدمت الحياة..

التوازن غاية التشريع

ولو توجَّهنا إلى الشرائع برُمَّتها لوجدنا أنها إنما شُرِّعت لتنظيم سلوك البشر وزرع التوازن فيه كي يأتي متناسقًا مع التوازن الذي يحكم الكون.

ونلاحظ ذلك جليًا من خلال النصوص التي تحدَّثت عن علل الشرائع، كتلك التي جاءت في خطبة الزهراء (عليها السلام) حيث تقول: (افترض عليكم... الصلاة تنزيها لكم عن الكبر... والعدل تنسيقًا للقلوب... وطاعتنا نظامًا للملة... وإمامتنا أمانًا للفرقة... والقصاص حقنًا للدماء) وغيرها من سائر الفقرات، فإنها عند التدبُّر نجدها تصبُّ في خانة التوازن الفردي أو الاجتماعي.

التوازن الاجتماعي

وبالتوجُّه إلى المجتمع - أيًا كان - نجده عبارة عن تركيبة بشرية تشكِّل كيانًا موحدًا يضم أفرادًا متفاوتة في المزايا والإمكانات، ففيه الذكر والأنثى، والصغير والكبير، والعالم والجاهل، والعامل والعاطل، والذكي والغبي، والفقير والثري، والمنتج والمستهلك.. إلى غير ذلك من التصنيفات..

والمجتمع الحيوي الناجح هو الذي يملك الوعي والإرادة، ويستطيع توزيع تلك الأصناف بشكل متوازن، فيضع الشخص المناسب في المكان المناسب، ويفسح الفرص لإبراز الطاقات والكفاءات الكامنة في مواهب أبنائه، ويخطط للاستفادة من تلك الطاقات والكفاءات، ويُمنهِج عمليتي الإنتاج والتصريف، ويُعالج مواقع الضعف والخلل عبر البرامج التكافلية، وتفعيل دور الرقابة، ويسدُّ الثغرات التي يتسلّل من خلالها أعداؤه.. وغيرها من الأمور التي تصبُّ في خانة التنسيق والتنظيم الذي نادت به الشرائع والقوانين والذي ينسجم مع الطبيعة الاجتماعية لهذا الإنسان وما يحمل من طاقات وقابليات ومواهب تميّزه عن سائر خلق الله تعالى..

وللإضاءة بشكل أكثرَ تفصيلاً نستعرض جملة من الجوانب التي يضمن التوازن فيها استقرار المجتمع أيًا كان..

1- التوازن بين الكفاءات والمناصب

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (رحم الله امرءًا عرف حدَّه فوقف عنده)، وفي المثل الشعبي (أعطِ خبزك للخباز ولو أكل نصفه)، وهذا في الحقيقة يختصر أبرز عنصر من عناصر نجاح المجتمع، إذ عندما يختار المجتمع من بين أبنائه أصحاب الخبرة في الميادين، ثم يضع الشخص المناسب في المكان المناسب، يكون قد وضع أول عجلاته على سكة النجاح..

قصة وعبرة: يُنقل أن مجموعة من الضباط العسكريين في بلد إسلامي كانوا قد خضعوا لدورة تدريبية في إحدى دول الاتحاد السوفياتي سابقًا، ولما آن أوان تخرجهم دعاهم رئيس تلك الدولة ليكرمهم، فطلبوا منه أن يكون تكريمهم تكريمًا معنويًا لا ماديًا، ولما سألهم عن قصدهم من التكريم المعنوي طلبوا منه أن ينقل لهم أهم حادثة حصلت معه في مجال حياته السياسية!!

فاستمهلهم قليلاً ثم عرض لهم ما يعتقده أهم حادثة، وهي أنه لما ابتليت بلاده بعد الحرب العالمية الثانية بفساد اقتصادي فاحش أدّى إلى تذمر المجتمع بشكل واضح رفع شكوى إلى مسؤولي الاتحاد السوفياتي في روسيا، فجاءه الرد بأن هناك خيانة في الوزارة!!

فسعى للكشف عن تلك الخيانة، ولكنه لم يصل إلى نتيجة.

وبعد عدة مراسلات مع المسؤولين الروس كشفوا له عن حقيقة الأمر وأن الخائن هو رئيس الوزراء!

فأنكر هذا الأمر متذرعًا بأن رئيس الوزراء كان زميله المقرَّب على مقاعد الدراسة وأكثرهم إخلاصًا له، ومن المستحيل أن يُقدم على الخيانة، ومع ذلك استدعاه واستجوبه وأوهمه بأنه مطَّلع على تفاصيل خيانته، وعرض عليه تقديم الاستقالة بكل هدوء، مع تعهّده (أي رئيس البلد) بعدم كشف تلك الخيانة لأحد شرط أن يُخبره بمجال الخيانة بالتفصيل.

فأقرَّ رئيس الوزراء بالخيانة، وأنه إنما عمد إليها لكونه يقتنع بأن النظام الرأسمالي القائم في الغرب أكثر حرية وانفتاحًا من النظام الشيوعي القائم في البلاد، وهذا ما دفعه للقيام بتلك الخطوة من الخيانة.

ولما سأله الرئيس عن العمل الذي طُلب منه تنفيذه، أجاب بأن الخيانة لم تكن تسريب معلومات ونحوها، بل كانت مجرد تبديل في مناصب الوزراء، فالذي يملك كفاءة في الزراعة -مثلاً- يجعله وزيرًا للدفاع، والذي يملك كفاءة في الاقتصاد يجعله وزيرًا للتربية.. وهكذا الحال في بقية مناصب الوزراء يوزِّعها بعيدًا عن موازين الكفاءات!!.

هذه هي الخيانة التي أسقطت البلد..!! ومن حقها أن تسقط رئيس الوزراء أيضًا..!!

نعم.. إن التوزيع السيئ للمناصب لا ينتج عنه إلا السقوط المحتَّم.. فعند فقدان التوازن بين الكفاءات والمناصب، يسري الفساد، وتتضعضع أمور البلاد، وتسوء أحوال العباد..

وإنه لمن المؤسف في وقتنا الحاضر أننا نجد أن معظم أنظمة عالمنا العربي والإسلامي قائمة على توزيع المناصب مصلحيًا، لا بحسب الوعي والكفاءة التي تضع الشخص المناسب في المكان المناسب!!..

يتبع =

([1]) الصحيفة السجادية/دعاء مكارم الأخلاق.

([2]) الملاحم والفتن لابن طاووس ص 157.

([3]) تحف العقول ص 70.

.

تتمة مقال = التوازن الفردي والاجتماعي

إن هذه النقطة بالذات هي السرُّ في السقوط المريع لأمتنا، وابتلائنا بالضعف والوهن، الذي تحدّث عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل أربعة عشر قرنًا حيث قال (صلى الله عليه وآله): يوشك أن تتداعى عليكم الأمم تداعي الأَكَلَة إلى قصعتها، فقيل: أَمِن قِلّة يا رسول الله..؟ فقال (صلى الله عليه وآله): لا ليس من قِلّة، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم وليبتلينكم بالوهن.

فقيل: وما الوهن يا رسول الله؟

فقال (صلى الله عليه وآله): حب الدنيا وكراهية الموت([1]).

نعم إن وهننا وضعفنا ليس من قلة، فالمسلمون اليوم كُثُر، إذ يشكِّلون ما يقارب خمس المنظومة البشرية، ويملكون أضخم مخزون في العالم من الذهب الأسود (البترول)، ويملكون في البنوك من الأرصدة ما يغطي نفقات أضخم معامل الإنتاج في شرق الأرض وغربها..

نعم لقد فقدت أمتنا توازنها وصارت من أحقر الأمم رأيًا، وأدناهم اعتبارًا.. تُنتهب خيراتها وتُسرق أموالها، وتُدنَّس مقدساتها.. وممن؟! وكيف؟! من شراذمة الأمم وبوضح النهار، ولا نجد من يقف ويقول كفى!! بل لا نجد من يكلف نفسه عناء النظر في العبر التي حفظها لنا التاريخ المليء بالعبر، عندما يتحدث عن الأمم التي سقطت والأمم التي قامت..؟

ألا تكفينا عبرة – وللأسف – إجابة (موشى ديان) الوزير الإسرائيلي عندما سئل: أنتم في حرب الـ (67) استخدمتم نفس الخطة التي استخدمتموها في حرب الـ (56) أما خشيتم انكشافها وافتضاحها؟!

فأجاب: من حُسن الصُدَف أن العرب لا يقرؤون التاريخ!!

إنه لمن المؤسف جدًا أن يصل معظم صُنَّاع القرار في المجتمعات العربية إلى مستوى لا يقرؤون معه التاريخ، بل ولا الحاضر، بل ولا المستقبل أيضًا!!

في حين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقدِّم لنا أبلغ العظات عندما يقول لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) ضمن وصيته له: (أي بُني إنّي وإن لم أكن عمَّرت عُمْرَ من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكَّرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عُدت كأحدهم. بل كأني بما انتهى إليَّ من أمورهم قد عمَّرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفوَ ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخَّيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله)([2])...

2- التوازن بين قدرة المسؤول وحجم المسؤولية

قد يملك الإنسان المعرفة بالأمور، لكنه لا يملك القدرة والإرادة الكافيين، ولذا فإنه يضعف ويعجز عن تطبيقها عمليًا، وهذا لا فرق بينه وبين الجاهل بتلك الأمور أصلاً، حيث إن النتيجة واحدة، والتوازن كما يحكم العلاقة بين الكفاءات والنتائج، يحكم أيضًا العلاقة بين القدرات والنتائج، فليس كل معلوم مقدور على تطبيقه، فمن هنا نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) يحرص على أموال رعيته ويبعث إلى عماله في الأمصار: (أدقّوا أقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإياكم والإكثار، فإن أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار)([3]).

نعم يوصيهم بذلك حتى لا يسرفوا في صرف المداد والورق حفاظًا على أموال الناس..

وها هو (عليه السلام) يقف في الكوفة عندما قدم إليها من المدينة.. يقف وهو يرتجف من برد الكوفة، فسئل: أنت الحاكم والمال لديك وفير فلِمَ لا تشتري ما يقيك من برد الكوفة؟

فأجاب (عليه السلام): إن خرجت من بين أظهركم بغير رحلي وراحلتي وغلامي إني لخائن وهذا قميصي الذي قدمت به من المدينة([4]).

ويقول (عليه السلام) في خطابه القاسي لعامله على البصرة (ابن حنيف): أأقنع من نفسي أن يُقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم مكاره الدهر وجشوبة العيش؟!

إلى أن يقول (عليه السلام):.. فاتقِ الله يا ابن حنيف ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك([5]).

هكذا يكون المسؤول المخلص.. يسهر على شؤون أمته ليل نهار.. ويحافظ على أموالهم ومقدراتهم.. ويرعى مصالحهم.. ولا يسرف في المال العام.. ولا يخون شعبه.. ولا يخصِّص لنفسه حتى الثوب الذي يقيه من البرد.. ويأمر أعوانه بالقناعة، وينتهرهم على حياة الترف... و.. و..

3- التوازن بين الأغنياء والفقراء

ثم إن من جوانب التوازن الذي يضمن استقرار المجتمعات، وقد نادت به الشرائع أيضًا التوازن بين الأغنياء والفقراء، وذلك تحت عنوان التكافل الاجتماعي، حيث فرض الله تعالى أقوات الفقراء في أموال الأغنياء، فقال تعالى: **{**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**}**([6]).

فمن اللافت للنظر الحكم الشرعي القائل بمنع نقل الزكاة من بلد إلى آخر إلا مع عدم وجود المستحق حسبما هو مشهور الفقهاء، والذي يمكن أن نستفيده من هذا الحكم هو عنوان تكفل أغنياء كل محلة بفقرائها، وبالتالي نشر حالة من التوازن المعيشي بين الناس.

إن المجتمع وإن كان لا يقوم إلا بأغنيائه وفقرائه كما يقول الله تعالى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}([7]). ولكن هذا لا يعني أن يصل المجتمع إلى مستوى الثراء الفاحش من جهة، والفقر المدقع من جهة أخرى، لأن هذا يؤدي إلى هوّة شاسعة بين أثريائه وفقرائه، وهذا اختلال في المجتمع، وهو لا يولِّد إلا الألم، والألم لا يولِّد إلا الصراخ، وإذا وصلت المسألة إلى مستوى الضغط، فإن الضغط لا يولِّد إلا الانفجار، سيما إذا كان الثراء قائمًا على سرقة واختلاس أقوات الفقراء..!! وقد جاء في الحديث الشريف (الفقر هو الموت الأكبر) ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما ضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقر)، ويقول (عليه السلام): (لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته)، ويقول أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه): (عجبتُ لمن لم يجد قوت يومه كيف لا يخرج على الناس شاهرًا سيفه) ([8]).

ولو رجعنا إلى التاريخ.. إلى تاريخ الثورات على الظلم لوجدنا أن مثل هذه الأمور كانت ضمن أسباب تلك الثورات، فمروان بن الحكم -مثلاً- كان يستأثر بخُمس أموال أفريقيا لحسابه الخاص، ويزيد بن معاوية كان يرسم موازنة خاصة لقرده المرفَّه.. أما الشرفاء الذين هم من طراز أبي ذر الغفاري فكانوا لا يجدون قوت يومهم، فيقول أبو ذر لابنته: قومي بنا إلى الصحراء علَّنا نجد قوتًا..!!

نعم أبو ذر يبحث عن قوت من نبات الصحراء القاسي!! وقرد يزيد يُرفَّه بأموال المسلمين!!

فأيُّ مجتمع هو المجتمع الذي تُقتل في المعنويات.. وتُسحق فيه الكفاءات.. وتستباح فيه المقدَّرات.. وتُزرع فيه العداوات.. ويأكل أغنياؤه أموال فقرائه.. ويتحكم النذل فيه بالشريف.. ويتطاول الصغير فيه على الكبير.. ويسخر الجاهل فيه من العالم..

التوازن بين المقدمات والنتائج

وبكلمة جامعة يمكن لنا أن نقول إن النتائج لا تأتي إلا بتناسق وتوازن مع مقدماتها، ففي الحروب -مثلاً- عندما يكون هناك تفوق في العدة والعدد والاستعدادات والمعنويات فإن النتيجة تأتي متناسقة مع المقدمات، فالمقدمات القوية تأتي بنتائج قوية والمقدمات الضعيفة لا تأتي إلا بنتائج ضعيفة..

حتى حجم المدد الغيبي الذي نؤمن به خاضع بدوره لهذه المعادلة، فكلما اشتدَّت الإرادات، وسمت المعنويات، كلما ازداد حجم المدد لدرجة تلِد معها الصخرة ناقة وينتصر نبي الله صالح (عليه السلام)، وتأكل العصا حبال السحرة وينتصر نبي الله موسى (عليه السلام)، ويسحق جيشُ الطيور جيش الفيل وتسلم الكعبة المشرفة، ويهزم خيط العنكبوت جيش الشرك ويسلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الغار..

وكلما خارت الإرادات، وتردَّت المعنويات، واغتيلت الكفاءات.. كلما دبَّ الوهن والضعف والترهل والانحراف الذي لا يتلوه إلا السقوط، وتداعي المتربصين لنهش فريسة سائغة سقطت من عليائها..

وهكذا هو حال أمتنا التي تضعضعت وانهارت وسقطت عندما تجاهلت تاريخها، وتردَّت معنوياتها واختلَّت فيها عناصر التوازن بين الأغنياء والفقراء.. بين الكفاءات والمناصب.. بين قدرات المسؤول وحجم المسؤوليات..

انتهى

([1]) الملاحم والفتن لابن طاووس ص 157.

([2]) تحف العقول ص 70.

([3]) وسائل الشيعة (آل البيت) – الحر العاملي ج 17 – باب 15 استحباب تعلم الكتابة والحساب وآداب الكتابة ص 403.

([4]) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ج14 ص 137.

([5]) نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام ج3 الخطبة 45 ص 75.

([6]) سورة المعارج آية 24- 25.

([7]) سورة الزخرف من الآية 32.

([8]) النظام السياسي في الإسلام لباقر شريف القرشي ص 247.

الهوامش

* مبلّغ ديني ومدرّس في الحوزة العلمية.

الكتابة رسالةً وأسلوبًا

الشيخ حسين قازان

الشيخ حسين قازان*

يندفع بعض الكتّاب إلى الكتابة بكل قوّة وحماس، سواء في ذلك رجال الفكر والأدب، أو علماء الدين والإصلاح، ويمكن القول بأن الكتابة قد كثرت في عصرنا، وامتلأت بها دور النشر وزُخرِف بالمؤلفات ألافُ المكتبات الخاصّة والعامّة، وممارسة الكتابة كغيرها من المهن والاتجاهات الفكرية والأدبية التي يختارها أصحابها كالخطابة، وقراءة السيرة الحسينية، وإنشاد الشعر ونظمه، والتمثيل والغناء، وقيادة العباد والبلاد.

الكتابة واختلاف دوافعها

ومما لا شك فيه أن الدوافع النفسية والبشرية تختلف من إنسان لآخر حسب الأهداف الشخصية، والغايات الكامنة في ذات كل فرد، والفلسفة والقناعات التي تتكوّن منها شخصيّة الكاتب والخطيب والشاعر ورجل الفنّ والسياسة وغيرهم.

فمن قَصَر نظره على هذه الحياة، وآمن بها الإيمان المطلق، واعتبرها البداية والنهاية، وامتلأ قلبه بحبّها، وغفل عن الغاية التي خلقه الله تعالى من أجلها، ونسي أو تناسى بأن الحياة الدنيا هي دار الفناء والاختبار والابتلاء ليسجّل كلّ فرد منّا أقواله وأعماله وآراءه وتفكيره في صحيفة أعماله، وليحتفظ بها الملائكة الكرام الكاتبون، ويضعونها أمام الخالق العظيم عند نهاية العمر، ومجيء الأجل.

إن من يقصر نظره على هذه الحياة يحوّل كلّ عمل من أعماله تقرّبًا إليها، ويسخّر كل طاقاته وإمكاناته في سبيل الحصول عليها، فيصلّي لأجلها، ويكتب ويخطب ويعظ ويقرأ القرآن بالصوت الحسن الجميل، وينشد الأشعار المبكية والمؤثّرة على سيد الشهداء وأهل البيت (عليهم السلام)، كل ذلك من أجل الحصول على الدنيا، والفوز بما فيها من شهوات وملذّات وممتلكات.

وبتعبير أدقّ، فإن الدنيا تصبح لدى مثل هذا الإنسان، الإله المعبود، والمعشوق الوحيد، (ومن عشق شيئًا أعشى بصره، وأمرض قلبه)([1])، ومن المؤسف جدّا أننا نشاهد في زماننا صنفًا من هذا الفريق المنكوس التعيس، الذين يقولون ما لا يفعلون، ويكتبون لغيرهم أوامر ونواهي، وتوجيهًا وإرشادًا، ووعظًا وإصلاحًا، وترغيبًا في الثواب وتحذيرًا من العقاب، وهم لا يلتفتون لأنفسهم، ولا يبادرون إلى تهذيب ذواتهم، وتخليصها من ضعف الإيمان، ورذائل الصفات والأخلاق التي تبعدهم عن الله رب العالمين.

وما أحقّ وما أصدق المثل القرآني في انطباقه عليهم في قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً}([2]). فالكتابة في نظر هؤلاء هدف لمنافعهم ولإبراز شخصياتهم وليس غاية لطاعة الخالق وصلاح المخلوق، هذا هو حال من يتوجّه كليًا لهذه الحياة.

وأما من عظم الخالق في نفسه، وكبر موقعه في قلبه، وعلم أن حياته وعمره هما الفرصة الوحيدة لنيل الثواب والخلاص من العقاب، والفوز برضوان الله الأكبر مع الأنبياء والصّدّيقين والشهداء والصالحين، ومع محمد وآله الأبرار صلوات الله عليهم، مثل هذا الإنسان المؤمن الحقيقي يصرف عمره في ما يحقّق له القرب من خالقه، فيحوّل أعماله وأقواله، وكتاباته وسائر شؤون حياته لهذه الغاية، فيوجّه نفسه قبل توجيه غيره، ويأمرها وينهاها قبل أمر غيره ونهيه، ويصلحها قبل الانصراف لإصلاح غيره، ويعظها قبل وعظ مَن سواه، مصداقًا لقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (من نصب نفسه للناس إمامًا، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه)([3]).

ولنا من سيرة نبيّنا (صلى الله عليه وآله) وأئمة الهدى (عليهم السلام) وسيرة السلف الصالح من علمائنا وكتّابنا الماضين والحاضرين خير مثل على ذلك، حيث إننا نقرأ بعض الأخبار الشريفة عن النبي وآله (صلى الله عليه وآله)، وحتى ما ورد من أدعيتهم (عليهم السلام)، فتنقلنا إلى عالم الحقّ والواقع، ونطالع بعض مؤلفات العلماء والمفكرين العاملين المخلصين فنتأثّر بما كتبوا، ونحتفظ بما قالوا، لأننا نلمس الجدية والواقعية في آرائهم وأفكارهم، وليس مجرد الخيال والتصوّر كما هو الحال في بعض المتظاهرين والمدّعين.

فإذا كانت الغاية من الكتابة هي نقل أفكارنا للآخرين، فعلينا تصحيح الفكرة قبل نقلها وإبرازها، وإذا كانت هي الدعوة إلى الصلاح والإصلاح وتغيير الواقع الفاسد في المجتمع، فعلينا قبل ذلك التوجّه لإصلاح نفوسنا، وتقويم اعوجاجنا، وتغيير واقعنا الفاسد، وعند ذلك يصبح قولنا مقبولاً، وخطابنا مسموعًا، وكتاباتنا مثيرة ومؤثّرة، ويبارك الله تعالى بجهدنا وأعمالنا.

إن الكلمة التي نتلفّظها ينتفع بها - إن كانت نافعة - من يسمعها، ولكن الكلمة التي تسجّل على صفحات الكتب فهي للأجيال الحاضرة والآتية، فإن كانت خيرًا ورشدًا انتفع بها كاتبها في حياته وبعد وفاته، وإن كانت شرًا وضلالاً فهي الوبال وسوء المآل لكاتبها في حياته وبعد مماته.

روايات الحثّ على الكتابة

وقد ورد الحثّ على الكتابة النافعة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمة الهدى (عليهم السلام):

فعن الإمام الصادق (عليه السلام): (اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا).

وعن المفضّل بن عمر قال: (قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): اكتب وبثّ علمك في إخوانك، فإن متّ فأورث كتبك بنيك).

وعن أنس قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدةً عليها علمٌ، تكون تلك الورقة يوم القيامة سترًا فيما بينه وبين النار).

وجاء في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) أنه قال: (يا عليّ أعجب النّاس إيمانًا وأعظمهم يقينًا قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي، وحُجب عنهم الحجة، فآمنوا بسواد على بياض) ([4]).

فهذه الأخبار الشريفة وأمثالها تبيّن الآثار الإيجابية الحسنة المترتبة على الكتابة النافعة، وتحثّنا عليها، وترغبنا فيها، وتدفعنا إلى اختيار المواضيع المفيدة التي ترشد الضالّ، وتنبّه الغافل، وتعلّم الجاهل، وتقرّب الناس إلى ربهم، فيأنس بذلك الكاتب في حياته، وتكون موجبةً للرحمة الإلهية بعد موته، وسترًا له من نار الجحيم يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

أسلوب الكتابة

بقي علينا أن نشير هنا إلى نقطة هامّة نودّ التنبيه عليها، ونلفت أنظار الكاتبين الهادفين المصلحين إليها، وهي تتعلق بأسلوب الكتابة وبيان ما هو أكثر نفعًا.

حيث إن الكاتب كالخطيب والمحدّث، منهم من يُفْهِم المعنى بيُسر وسهولة، وينقل أفكاره ومقصوده باختيار الكلمات والألفاظ المعبّرة والمؤثرة، والخالية من الإرباك والتعقيدات والحشو الزائد، فيرتاح القارئ، ويأنس السامع، وينشدّ لسماع كلمة المتكلم، وكتابة الكاتب.

ومنهم من يختار الكلمات والألفاظ التي لا يفهم معناها إلا القليل من العلماء والأدباء، فإذا أوجز، قصّر في أداء المعنى المطلوب، ولم يحقّق الغاية المنشودة.

وإذا أطنب ضيّع السامع والقارئ، وحَادَ عن المقصود، ولم يُؤدّ الغرض والهدف.

فمن المهم جدًا أن يلتفت الكاتب لهذه الناحية، ولا يغفل عن أبعادها ونتائجها، فقد يكون تقديم كلمة أو جملة أو تأخيرهما عن الموضع المناسب يغيّر المعنى، أو لا يحقّق المطلوب، وكذلك الانتقال من فكرة إلى أخرى ومن موضوع إلى آخر يؤثّر في فهم المعنى، إن لم يكن على النحو المترتب والمتسلسل.

بعض الخطباء والكتّاب ينتقل أثناء الخطابة أو الكتابة من نقطة إلى أخرى، ولا يلاحظ ترابط الجمل أو الكلمات، وربما يعتمد على مكانته في المجتمع وشهرته فلا يكلّف نفسه عناء إعادة النظر فيما كتبه من مقالات، أو مؤلفات، ويعطي نفسه الثقة التامّة فلا ينتقد كتابته، ولا يعيد النظر فيها، ويتصوّر نفسه الموهوب الكامل وفوق نقد الناقد،

لا مجال لاحتمال الخطأ في لسانه أو قلمه، ومثل هذا التصوّر يُبعد الإنسان عن الواقع، ويوقعه في الجهل والغرور.

كما أن سرعة الإنتاج وإبراز الكتابة مبكرًا، ودون رويّة وتجربة وممارسة، يؤدّي بالشخص إلى الحكم على نفسه الحكمَ الخاطئ.

إن إعادة النظر فيما يكتبه الكاتب ولأكثر من مرّة، وفي أكثر من وقت، وتوجيه النقد من نفسه لنفسه، ومن ذاته لذاته، يقرّبه من الحق والواقع، ويقلّل أخطاءه وعيوبه.

ومما يساعد ويساهم في تأثير الكلمة المكتوبة، ويقرّب الكاتب من بلوغه الهدف المرجوّ والمأمول من كتابته، الإخلاص لله في العمل، والتقرّب إليه سبحانه في ذلك، ونيّة الإصلاح والإرشاد للعباد، وتقريب المخلوق من الخالق.

انتهى

([1])الإمام علي عليه السلام - نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده خطبة 109 - ج1 ص211.

([2]) سورة الجمعة من الآية 5.

([3]) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده خطبة 73 - ج4 ص16.

([4]) الوسائل ب8 من أبواب صفات القاضي ح16-18-51-63.

الهوامش

* عالم عاملي.

تأثير اللغة العربية في لغات العالم

د. حسن جعفر نور الدين

د. حسن جعفر نور الدين *

العلاقات بين اللغات الإنسانية

لم تسلم ولن تسلم أية لغة في العالم من التأثير والتأثر في غيرها وبغيرها من اللغات، بحكم العلاقات والصلات المتنوعة، هذا في ما سبق من عصور، فكيف اليوم، وقد قطعت البشرية أشواطًا عظيمة في التقارب والتلاقي، فقرُبت المسافات، وانتشرت الوسائل السمعية والبصرية الحديثة التي يتخاطب فيها أبناء الكوكب الأرضي، ويتبادلون اللغات والخبرات والإمكانات.

فاللغة كالإنسان كائن حي، تنمو وتعيش وتتكاثر، ويموت من أولادها الألفاظ كثير عبر التاريخ، وتتهاوى كلمات لم تثبت، ولم تجد لها مكانًا دائمًا وقبولاً من المجتمع الذي تعيش فيه، وتدخل كلمات جديدة طبقًا لقواعد وأصول تحدد شروط الدخول أو عدمه.

ففي علم الأجناس أو الإنسان (الانتروبولوجيا)، نرى أنه ما من عرق بشري يسلم من التمازج مع العروق الأخرى، وما من نوع بشري نقي الدم تمامًا، إلا في ما ندر عند بعض السلالات المغلقة اجتماعيًا وإنسانيًا، والمتعصبة لنظمها الوراثية والعائلية.

وهذا يمكن أن ينطبق على ما لها من رموز صوتية تشكل أُطر التفاهم والتخاطب فيما بينها، إذ لو قُيِّض لهذه المجموعات الصوتية، أن تبقى معزولة عما حولها، منقطعة الصلات باللغات المجاورة، أمكن أن تسلم لغتها من الألفاظ الدخيلة، وإن حصل هذا بالفعل، فإنه يدل على خمول هذه المجموعات وتعصبها الشديد للغتها، ورفضها للآخر، مما يرتب انعكاسات سلبية وخطيرة على مستقبل أفرادها، وعلى وجودها بالذات([1]).

علاقة العرب بغيرهم من الشعوب

وليس العرب من هذا القبيل، بل هم على العكس من ذلك تمامًا، كانوا وما زالوا منفتحين على جميع من حولهم، ولهم صلات تاريخية مع جيرانهم، كما أن لغتهم عريقة وذات تاريخ عريض ورسوخ لا خلاف عليه، فمنذ الجاهلية كان لهم صلات وعلاقات متينة مع الفرس عن طريق (المَناذرة)، ومع الروم عن طريق (الغساسنة)، وفي الجنوب عن طريق (الأحباش)، تحكم هذه العلاقات الحروب حينًا والهجرة ومصالح الجوار أحيانًا أخرى، زِدْ على ذلك علاقاتهم مع الهند والصين.

ولذلك فإنّ مساحة التبادل اللغوي واسعة متوافرة إلى أبعد حد، وقد أثبتَت الأيام أن كل لغة من لغات هذه الأمم عاشت مع العربية فأعطتها وأخذت منها، وكانت مكة المكرمة سوقًا تجاريًا تلتقي فيها جميع القبائل والقوافل القادمة من كل اتجاه، وهي علاوة على ذلك همزة وصل بين الشعوب المجاورة كافة، يستضيفهم عكاظها وكعبتها وأسواقها، وتتلاحم اللغات فيما بينها.

فمكة كانت منذ القديم المركز الديني والتجاري والثقافي والسياسي في قلب الجزيرة العربية، مما يهيئ الظروف وإمكانات التبادل اللغوي عبر المحاورة والجدال والتواصل والحاجة إلى فهم الآخر([2]).

نعم إنّ تبادل التأثر والتأثير بين اللغات أمر شائع وحتمي بين شعوب العالم كافة، علاوة على أنه أحد القوانين الاجتماعية والإنسانية العامة.

أسباب انتشار العربية

أسهم الإسلام العظيم وكتابه المشرق (القرآن الكريم) بإشاعة اللغة العربية عبر الانفتاح الإسلامي والتوسع الحميد في مناطق كثيرة ونائية من العالم، كما أثبتت الوقائع أن لغتنا قادرة على أن تعيش كل عصر وكل جيل، وكل حدث وتطور، لأن ما فيها من المميزات يؤهلها لأن تبقى تتناسل وتنجب من ثروتها ثروات جديدة، و مصطلحات شاملة تغني الحياة والوجود.

حتى أن مجمع اللغة العربية في القاهرة كان حكيمًا عندما وافق جميع أعضائه في سنة 1948م على جواز النحت عند الضرورة، لذلك لم يجدوا حرجًا من قول (درعمي) نسبة إلى دار العلوم، و(أنفمي) للصوت الذي يخرج من الأنف والفم معًا، إلى غير ذلك من الألفاظ الكثيرة([3]).

كما أن من أسباب انتشار العربية الواسع في الماضي واليوم - فضلاً عن أنها لغة الإسلام كما ذكرنا آنفًا- هو تفوُّقها اللغوي واتساع مدارجها الصوتية، وحيويتها وقوتها.

كما أنها واجهت الصعاب ولم تنحنِ وخرجت بعد سقوط بغداد أكثر إصراراً على البقاء، رغم فترة الانحطاط التي لم تحنِ هامتها، بل عادت من جديد لتواكب حركة الحياة بإصرار وفاعلية.

وقد كانت العربية لغة الأدب والشعر والعلوم والطب والفلسفة وغير ذلك كثير في القرون الوسطى، كما أنها أسهمت في نقل العلوم العربية إلى اللغات الأخرى، وكانت لغة الحكّام العرب واللغة الرسمية في الإدارة، ولغة التجار العرب أيضًا، لذلك لم يكن من العسير استبدال العربية مكان شقيقتها الآرامية في فلسطين وسوريا والرافدين، وبقاء العربية في مالطة إلى اليوم رغم استيلاء النورمانديين عليها سنة 1090م - ورغم مجاورتها لإيطاليا- دليل حيوية هذه اللغة وقدرتها، ونقائها، لغة دين وتجارة وأدب وسماحة وفكر وحب وأخلاق([4]).

لكل تلك الأسباب التي ذكرنا، تُعتبر اللغة العربية أكثر اللغات تأثيرًا وانتشارًا، رغم أن اليونانية واللاتينية أقدم من العربية، وقد برز منهما أدباء وشعراء كثيرون قبل بزوغ فجر العربية، كما أن الفرنسية والإنكليزية -وهما من أشدّ اللغات تأثيرًا في أَلسن الشعوب المتمدنة- لم يتجاوز تأثيرهما في العالم حدود تأثير اليونانية واللاتينية، وعلى عكس ذلك نرى اللغة العربية، رغم تعرضها لمؤثرات شتى، منها حقبة الانحطاط، أنها ذات تأثير كبير في أكثر من مئة من اللغات واللهجات العالمية، خاصة في أنحاء أوروبا وأميركا وأستراليا، وفي نحو خمسين من شعوب آسيا وأفريقيا([5]).

إنّ هذا الجاه والعزّ المختصين بلغة الضاد حِرز من عند الله، ودليل على أهمية هذه اللغة وقداستها، وقد تعلمت الشعوب - خاصة الإسلامية غير العربية - هذه اللغة وأتقنتها بغية الدخول إلى حرم القرآن الكريم، واقتطاف معانيه الجليلة وتعاليمه السمحاء وأوامره ونواهيه، ثم إن كثرة فتوحات العرب في جميع أنحاء العالم نقل اللغة إلى كل مكان، خاصة قارات أسيا وأوروبا وأميركا وأفريقيا، ولو عُدنا قليلاً إلى الوراء، لوجدنا أنه بعد هجرة الرسول بستة عشر عامًا فقط، فتح العرب المسلمون فلسطين وسوريا ولبنان سنة 638م، ثم مصر سنة 639م، وطرابلس الغرب سنة 647م، وتونس 680،، والجزائر سنة 683م، والمغرب سنة 684م، ومالطة سنة 870م([6]).

وقد تجاوزت فتوحات العرب حدود العالم العربي، ففتحوا الهند في القرن السابع الميلادي، وإيران سنة 652م، واستولوا بعد ابتداء القرن التاسع على تركستان، ونشروا الإسلام في كل أنحائها، ودخلت أفغانستان هذا الدين في النصف الأول من القرن الثامن، ثم نشره تجار عرب وإيرانيون في جزيرة جاوه سنة 1200م، أما الجزائر الفيليبنية فالعرب من أهم عناصر شعبها، مع الهنود والصينيين والأوروبيين، هكذا انتشر الإسلام وامتد نفوذ العربية في كثير من دول العالم([7]).

أما التَتَر الذين دخل الأتراك منهم في الإسلام فقد فتحوا سنة 1226م أهم مدن روسيا، وظلوا مستولين عليها إلى سنة 1380م.

مجموعة اللغات التي تأثرت بالعربية

ولو أحصينا اللغات العالمية ذات الحروف العربية في آسيا مثلا، لوجدنا أكثر من ست وعشرين لغة:

منها: التركية، والإيرانية، والأذربيجانية، والكردية، والأفغانية، والهندستانية في (الهند الشمالية)، والبالوتشية جنوب أفغانستان، والداخينية لغة المسلمين في الهند الغربية والجنوبية، والكشميرية والكورانية في كشمير، والبنجابية والملتانية في البنجاب، والسندية في الإقليم الشمالي من ولاية بومباي في الهند، والتاميلية جنوب الهند وجزيرة سيلان، والأُزبكية في تركستان، والكرغيزية في تركستان الصينية، وآسية الروسية وسيبيريا

الغربية، والمليالامية في الهند الجنوبية الغربية، والجاكاتائية في تركمنستان الروسية، والكشغرية في تركستان الصينية والجاوية في جزيرة جاوه، والسندانية في جاوة الغربية، والمالائية في عدة أقطار من ماليزيا، والسولوئية في جزائر سولو من الجزر الفيليبنية([8]).

يتبع =

أ_____

([1]) مجلة التراث العربي العددان 71-72 - تموز 1998- ص64 و65.

([2]) المصدر نفسه ص 64 و65.

([3]) الأمير مصطفى الشهابي - المصطلحات العلمية في اللغة العربية- محاضرات ألقيت سنة 1955م - ص 15.

د. صبحي الصالح - دراسات في فقه اللغة - دار العلم للملايين - ط6 -1976م - ص 273.

د. حسن جعفر نور الدين - الموسوعات والمعاجم ببين الماضي والحاضر- دار شهاب برس- بيروت- ط1-2003م - ص 13-17.

د. إميل يعقوب- المعاجم اللغوية العربية- دار العلم للملايين- 1981م- ص 32-35.

([4]) د.يعقوب بكر- مكتبة بيروت-ط1 -1976م- ص 16-20.

([5]) الأب رفائيل نخلة اليسوعي- غرائب اللغة العربية- المطبعة الكاثوليكية - بيروت 1909م - ص 119.

([6]) تاريخ الدولة العربية تأليف الدكتور عبد العزيز سالم/مكتبة النهضة العربية-بيروت 1971: ص483 إلى ص494.

([7]) غرائب اللغة العربية ص 124.

([8]) المصدر نفسه - ص 125.

.

تتمة مقال = تأثير اللغة العربية في لغات العالم

أما في أفريقيا فهناك عدة لغات حروفها عربية منها:

السواحلية في أفريقيا الشرقية، والبمبارية (السودان الفرنسي)، والفولية في غينيا الفرنسية، والهوسائية في نيجيريا، والفياديجية في حوض النيل([1]).

وإذا كانت هذه الدول هي التي اتخذت الحروف العربية أبجدية لغاتها، فإن اللغة العربية نفسها حلَّت محل لغات كثيرة لعذوبتها، وقدرتها على النفاذ بسرعة، ولحيويتها وصفائها، وسرعة استجابة الناس لها، فقد حلَّت العربية محل السبئية والمعينية في جنوب الجزيرة، ويستعمل الصوماليون في شرق أفريقيا لهجة اليمن العربية كلغة ثانية، وتستعمل في زنجبار لهجة عُمان العربية إلى جانب السواحلية.

وفضلاً عن أن المسلمين في الحبشة يتكلمون الهررية، وهي من اللغات الساميّة فإنهم يستعملون العربية عامة في الأغراض الكتابية.

وفي مناطق سورية وفلسطين والرافدين دانت الآرامية للعربية، علمًا أن الآرامية كانت قد حلَّت هناك قبل قرون مكان العبرية في فلسطين والأكدية في بلاد الرافدين، كما ازدهر أدب لاهوتي مكتوب بالعربية منذ القرن العاشر الميلادي.

وفي مصر، دانت القبطية للغة العربية، وكان زعماء الكنيسة القبطية يستعملون العربية مكان القبطية، وبلغت اللغة العربية في العهد المملوكي ذروة السيادة.

وحلَّت العربية محل البربرية في شمال أفريقيا بعد انتشار الإسلام فيها، وما لبثت أن بلغت دول المغرب العربي وإقليم تشاد.

وعندما حكم العرب أسبانية (711-1492م) كانت العربية لغة الإدارة في المناطق الإسلامية، ولغة الحديث والأدب والشعر، وكل ما يتعلق بالفكر والحياة بين جميع العرب هناك.

وفي أوائل العصور الوسطى صارت العربية لغة مالطة وجزيرة جوزو المجاورة، ولا ننسى صقلية، فقد كانت لغتها الرسمية هي اللغة العربية في الحكم الإسلامي ([2]).

كما كان لسقوط مدينة القسطنطينية بأيدي العثمانيين أثرُ كبير في انتشار العربية، فوقوع واحدة من أهم المدن الأوروبية وأشدها عراقة في القدم فتح نافذة على الوسط الأوروبي كله، وتبع هذا الحدث سقوط مدن أخرى كثيرة في شرق أوروبية بيد العثمانيين كصوفيا وسرايفو وبلغراد واشقودرة التي كانت العاصمة الإدارية لألبانيا قبل أن تصبح العاصمة تيرانا، ثم اسكوبيا وقبرص وسالونيك وغير ذلك.

كما دقَّ العثمانيون أبواب النمسا واجتازوا قسمًا كبيرًا منها، وحوصرت فيينا، وأسهمت هذه الفتوحات والإنجازات في وصول اللغة العربية إلى هذه المناطق، وأقيمت المدارس، وبلغ الأمر ببعض رجال العلم من أهل تلك المناطق أن فكّروا باعتماد الحرف العربي في أبجديات لغات بعض الشعوب البلقانية، تقليدًا للعثمانيين الذين اعتمدوا

الحرف العربي في أبجديتهم([3]).

وتأكيدًا لبعض ما أشرنا إليه، من تأثير اللغة العربية مباشرة في كثيرٍ من لغات العالم، التي استوعبت وأدخلت إلى حرمها ألوف بل عشرات ألوف الكلمات العربية، سوف أذكر بعض هذه الأسماء التي تكرّست وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من تراث هذه اللغات، ثم أُلحقُ بها جداول بأسماء الكلمات العربية والأجنبية.

فلفظة سلطان العربية، دخلت الفرنسية، والإنكليزية، والروسية، واليونانية، والأرمنية، والمجرية، باللفظ نفسه تقريبًا، وكذلك القهوة، والقطن، والفقير، والغزال، والزعفران، والسحلب، والسكر، والصعتر.

وقد اقتبست اللغة الأسبانية من العربية مئات بل ألوف الألفاظ، منها:

الزيتونة Aceituna، والدفلى Adefla، والدّف Adufe، والخزانة Alacena.

كما اقتبست البرتغالية ألوف الكلمات أيضا مثل: القفة Alcofa، والضيعة Aldeia، والفقيه Alfaqui.

وكذلك اقتبست الرومانية ألوف الكلمات أيضًا منها: عباءة Aba، وعادة ([4]) Adet.

وأخذت الألبانية مفردات شتى نذكر منها: عادة Adet، دقيقة Dekika، فلان Filan، حمّام Hamam، عذاب Gazep.

واقتبست اليونانية قاموسًا من الألفاظ العربية مثل: بلاء Belas، إبريق Brik، دف Defi، دنيا Dounias، إمام Imamis، خبز Khabazi، حرامي Kharamis، منديل Mandili.

ومما نقلت الفنلندية: كيمياء kemia، سلطان Sultani، قهوة kahwi.

وما يجب أن نذكره أن بعض الكلمات العربية قد يتغير معناها عند اندماجها في لغات أوروبية:

مثلا (العضادة) وهي في الأصل خشبة من الخشبتين اللتين على جانبي الباب، تحولت إلى alidade، وهي مسطرة لقياس الزوايا، تدور حول نقطة في طرفها وينتقل طرفها الآخر على دائرة ذات أقسام متساوية أو جزء من أداة لمسح الأراضي.

كلمة (وزير) تحولت في الفرنسية إلى (vizir)، و(أمير أو أميرال البحر) تحولت إلى (amiral) الدالة على ضابط كبير في أسطول الدولة.

(ديوان) تحولت إلى (douane) بمعنى المُمكس أو الكمرك.

(صفر) تحولت إلى كلمتين، الأولى بمعنى صفر(zero) أي عدم العدد، والثانية بمعنى رقم (chiffre).

(سلطان) تحولت إلى (sultan) للدلالة على عاهل تركية القديمة ومراكش، وكانت تطلق على بعض ملوك أو أمراء الخليج.

(الكُحل) وتحولت في الفرنسية القديمة إلى (alcohol) الدالة على كل مسحوق شديد الدقة مثل الكُحل، وعلى المادة التي اسمها الآن (alcool) الناتجة عن تقطير الخمر.

(تعريف) تحولت إلى (tarif) بمعنى جدول أسعار أو مكوس، في الإنكليزية (tariff) وفي الروسية(tarif) ([5]).

(شراب) تحولت إلى (sirop) الدالة على ماء كثير السكر يحتوي مادة طبية نباتية.

(حريم) التي يدل معناها على نساء الرجل، تحولت إلى (harem) الدالة على المعنى نفسه وعلى قسم البيت المختص بتلك النساء، وكذلك في الإنكليزية (harem) وفي الروسية (garyem).

(موصل) اسم مدينة مشهورة في العراق، اشتقت منه (mousseline) بمعنى نسيج من القطن أو الصوف أو الحرير، كان الأوروبيون يشترونه من العراق، فسُمّي باسم المدينة، وجاءت تحمل المعنى نفسه في الإنكليزية (muslin)، وفي الروسية (mouslin).

(شرق) تحولت إلى (sirocco) للدلالة على ريح حارة تهب من الجنوب الشرقي على البحر المتوسط وسواحله، ويسمونه عندنا اليوم (شروق).

(حشاشين) تحولت إلى (assassins) الدالة على مجموعة في آسيا الصغرى اشتهر أعضاؤها في القرن الحادي عشر بإدمانهم شرب الحشيش، وبكثرة ارتكابهم القتل، وفي العصور المتأخرة صارت (assassin) بمعنى قاتل، وفي الإنكليزية (assassin).

(القبة) تحولت إلى (alcove) بمعنى قسم من غرفة منزوٍ عنها، يحتوي فراشًا واحدًا او أكثر...

(قند) أي عسل قصب السكر بعد جموده، قد تحولت إلى (candi) بمعنى السكر المنقّى المتبلور الشبيه بالشفاف، هذا في الفرنسية، وفي الإنكليزية (candy).

(البُرقوق) كانت بمعنى المشمش والخوخ، فتحولت إلى (abricot) للمشمش فقط.

(نارنج) تحولت إلى (orange) بمعنى البرتقال ([6]).

إن جميع هذه الكلمات العربية التي أوردتها اقتبست كما هي تقريبا في اللغات الفرنسية، الإنكليزية والروسية واليونانية والأرمنية والمجرية.

يتبع =

([1]) المصدر نفسه - ص 126.

([2]) يعقوب بكر - دراسات في فقه اللغة ص 16- 18.

([3]) مجلة التراث العربي - دمشق - منشورات اتحاد الكتاب العربي - العددان 71 و72 - تموز 1998- ص 181و182.

([4]) غرائب اللغة ص- 129- 140.

([5]) غرائب اللغة ص-129-136.

د. صبحي الصالح – دراسات في فقه اللغة- ص314-317.

([6]) غرائب اللغة العربية ص 129- 140.

.

تتمة مقال = تأثير اللغة العربية في لغات العالم

جداول باللغات العالمية التي تأثرت بالعربية

وخارج هذا التصنيف سأشير على بعض الكلمات الليتوانية المقتبسة من العربية، وهي تحمل اللفظ نفسه تقريبًا والمعنى نفسه([1]).

محمدي	mogametonas	الجبر	algebra	كيمياء	chemija
أمير	admirolas	وزير	viziris	الكحل	alkoholis
قهوة	kava	البرقوق	abrikosas	زرافة	girafa
الموصل	muslinas	زعفران	chafranas	ياسمين	jasminas
		القبة	alkova	حريم	haremas

كذلك أدخلت الفنلندية مئات الكلمات العربية ومنها([2]):

إسلام	islami	مسلم	moslemi	مسجد	moskea

منارة	minareetti	خليفة	kaliffi	كيمياء	kemia
الكحل	alkoholi	سلطان	sultani	أمير	amirali
جمل	kameli	غزال	gaselli	البرقوق	aprikka
قهوة	kahvi	ياسمين	jasmiini		

أما الفارسية، فهي أكثر لغات العالم تأثرًا واقتباسًا من اللغة العربية، ويكاد يكون القاموس العربي برمته يظهر في قاموس اللغة الفارسية([3]):

مثلاً: (بعد السلام) بالعربية تصبح بالفارسية: (بعد أز سلام).

لم أعرف	نفهميدم	منظر	منظره	حال	الحال
عندما،وقتما	وقتى	عطلة	تعطيل	لقاء	ملاقات
احترام	احترام	إداري	إدارى	إدامة	دوام
أدبي	أدبى	أخلاق	أخلاق	مصادفة	اتفاق
دوائر (العمل الإداري)	إدارات	اسم علم	اسم خاص	اسم جنس	اسم عام
أعجوبة	أعجوبة	فعل	فعل	فضائي	فضائى
الغروب،غروب	المغرب	العم	عمو	عهد	عَهْد
عادة	عادت	صفحة	صفحه	إلخ ...	

في الحقيقة: تضيق الصفحات وإن كثرت عن الإشارة إلى جميع الكلمات العربية في اللغة الفارسية، مع التذكير بالاختلاف في نطق الكلمات بين اللغتين، علمًا أن الفرس اقتبسوا الحروف العربية برمتها وزادوا عليها أربعة حروف هي (پ) أو البا المثلثة، وتلفظ مثل (p) في الفرنسية أو الإنكليزية، و(چ)أو ج المثلثة وتلفظ tch.

و(گ) تلفظ ج المصرية، و(ژ) وتلفظ مثل j الفرنسية أو ج في بيروت ودمشق([4]).

يتبع =

([1]) غرائب اللغة العربية ص 142.

([2]) غرائب اللغة العربية ص 142.

([3]) د. أحمد اللواساني مدخل إلى اللغة الفارسية - دار لواسان - طبعة 5 بيروت - ص45-284-298 إلى 300.

([4]) د. أحمد اللواساني مدخل إلى اللغة الفارسية.

د. التونجي- القاموس الذهبي.

.

تتمة مقال = تأثير اللغة العربية في لغات العالم

جداول أخرى ببعض الكلمات الأجنبية المقتبسة من العربية

1- بعض الكلمات البلغارية المقتبسة من العربية ([1]):

بقّال	bakalin	بلور	Bilior	دعوى في محكمة	davia
بهار	bakhar	دائرة	Daireh	أصناف	esnaf
بارود	barout	سروال	chalvari	إبريق	Ibrik
بلاء	belia	بطال	batal	زئبق	jivak
براءة	berat	جامع	djamia	قاض	kadia

هذا غيض من فيض.

2- بعض الكلمات الأسبانية المقتبسة من العربية ([2]):

الزيت	aceite	الحصان	alazan	القائد	Alcaet
الساقية	Acequia	البناء	albagnil	القنطرة	Alcantara
الدليل	Adalil	البحيرة	Albafera	القرطاس	Alcartaz
الدرقة	Adorga	البطيخة	albudeca	الكبريت	alcrebite
الدف	aldufe	البرنس	albornos	الماء	Alema
الخزانة	Alacena	البركة	alberca	الأحمر	alfamar
العمود	alamoud	البيطار	albeitar	الخياط	alfayate
العريف	alarife	البردعة	albarda	الفيل	alfil

يتبع =

([1]) غرائب اللغة العربية ص 157- 159.

([2]) المصدر نفسه ص 144-147.

.

تتمة مقال = تأثير اللغة العربية في لغات العالم

3- بعض الكلمات الرومانية من العربية ([1]):

عباءة	aba	قصاب	Casap	ضيافة	ziafet
عقار	acaret	كبريت	Chibrit	خزنة	hazna
حلقة	Alca	صحن	sahan	حركة	harcat
حلوى	alva	رف	Raft	خان	han
أمان	Aman	نظر	Nazar	حاج	hagiu
بقال	Bacal	مسافر	Musafir	جلاد	gelat
قاضي	Cadiu	مفلس	moflus	حب	hap
قفص	Cafas	مرض	meuraz	حد	hat
قالب	calup	مسكين	meschin	حوض	havuz

4- بعض الكلمات القرواطية المقتبسة من العربية([2]):

عادة	Adet	قرنفل	Karanfil	معمار	neimar
حمّال	Amal	قصبة	Kasaba	ميدان	Medjan
حب	Ap	عقرب	jakrep	مقص	makaze
خردل	ardalija	حساب	Hesap	قربان	kurban
بارود	Barut	خندق	hendek	كيس	kesa

شيطان	Cheytan	حاضر	hazur	قفص	Kavez
دبن	Din	هاون	Havan	قاتل	Katil
جلاد	djelat	خنجر	Kandjar	والله	vala
جن	djinn	قالب	kalup	ظلم	Zulum
دعاء	dova	وقف	vakup		

يتبع =

([1]) المصدر نفسه ص 154-155.

([2]) المصدر نفسه ص 155-157.

.

تتمة مقال = تأثير اللغة العربية في لغات العالم

5- بعض الكلمات الألبانية المقتبسة من العربية([i]):

بركة	bereqet	عقرب	hagrep	إكرام	iqiram
عادة	Adet	خير	Hajr	إنسان	insani
دكان	dyqan	حال	hall	عناد	inad
فلان	Filan	خالة	Hallat	قلب	kallp
فقير	Fukara	حمّام	hamam	مادة	Made
دقيقة	Dekika	حلوى	halva	مرام	Meram
عذاب	Gazep	خاطر	hater	محكمة	Meqeme
خبر	Haber	هلاك	Helaq	مائي	Mavi
خادم	hadum	هواء	Hava	مرهم	mahlem
خدمة	hyzmet				

6- بعض الكلمات الإنكليزية المقتبسة من العربية([ii]):

عفريت	Afreet	إمام	Imam	مولى	Mollah
عطر	attar	حناء	henna	شافعي	Shafite
التنور	Athanor	كافر	kafir	سلام	salam
بلبل	Bulbul	عملاء	Omalah	غزوة	Razzia
قاضي	Cadi	راحة	Racket	رمضان	Ramadan
ذرة	durra	مختار	Mooktar	شريف	sherif
إبليس	Iblis	قبلة	Kibbah	شيعة	shiah
ملاح	Fellah	غول	ghoul	سورة	Sura
خمسين	khamsin	ولاية	Vilayet	طرح	tare

يتبع =

([i]) المصدر نفسه 159-163.

([ii]) المصدر نفسه ص 150-152.

.

تتمة مقال = تأثير اللغة العربية في لغات العالم

7- بعض الكلمات الفرنسية المقتبسة من العربية([1]):

الحصان	Alezan	خان	kan	ولاية	Vilayet
الخنجر	Alfanje	خراج	Kharaj	شربة	sorbet
الغارة	algarade	جبة	Jupe	كُحل	kohol
عالمة	Almee	فلاح	Fellah	قبة	koubba
بلبل	Bulbul	برنس	Burnous	قبلة	kibla

قاض	cadi	الحاج	Alhaje	مسكين	Mesquin
الوزير	Alguazil	مدرسة	medersa	مكارٍ	mource
شيخ	cheik	وال	vali	مطرة	matras
ذرة بيضاء	doura	زكاة	zekat	سُنَّة	sonna

هذا جزء يسير جدًا من الكلمات الأجنبية المقتبسة من العربية، ولو أردنا حصر كل ما للغة العربية في لغات العالم، لاحتجنا إلى مجلدات، وهي إن دلت على شيء فإنها تشير إلى عظمة هذه اللغة وسرعة انتشارها في العالم، وهي ما زالت تشقّ طريقها وسط صعوبات جمة في عصر تدقُّ فيه العولمة أبواب العصر الحديث، بل هي ولجته بالفعل، وأصبح السباق بين الثقافات أحد القضايا والعناوين الرئيسة في الصراع العالمي.

وإن كنا في هذا البحث قد أشرنا إلى تأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى فإننا في البحث القادم إن شاء الله سنشير إلى بعض ما أخذته اللغة العربية من لغات العالم، وما أدخلته إليها عبر التعريب والدخيل، وفائدة هذه العلاقة بين اللغات، ومدى ملاءمتها لسياسة العولمة الجديدة.

انتهى

([1]) المصدر نفسه ص 149-150.

الهوامش

* أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية في صيدا.

يا راحلين إلى العراق (قصيدة)

الشيخ عبد الحسين صادق

يا راحلين إلى العراق

الشيخ عبد الحسين الشيخ جعفر صادق*

يا راحلينَ إلى العراق تمهَّلوا	هلاَّ حملتمْ للعراق أمانتي
إن لاحث القببُ اللموعة بلِّغوا	عند التحية يا كرامُ تحيتي
وإذا أحطتم بالشفاهِ قُبورَهم	لثمًا وتقبيلاً فزيدوا قُبلتي
وإذا جرى دمعُ العيون فليتها	ذابت على تلك المراقدِ مُقلتي
إن تُودِعوا فيها بقلبٍ لاهفٍ	شتَّى الرقاع فأودعوها مُهجتي
أَشربْتُها صدق الولاء وطيّها	كلَّ الذنوب ذكرتُها وخطيئتي
وإذا مرَرتم بالغريِّ فقبِّلوا	بِيض الرمال فليْتَ فيها ضجعتي
وتمهَّلوا عندَ الأميرِ وعفِّروا	فوقَ الضريحِ جباهَكم في رَهبةِ
وإذا ذكرتم أهلكم وديارَكم	فابكوا الحسينَ شهيدَ دار الغربةِ

* * *

يا مُبكِيا عين الرسول أما لنا	بِبُكائه ودموعه من أُسوةِ؟!
ما باله – صلى الإله لروحِه -	يَبكيك غمًا في رحاب ولادةِ؟!
قرأ الرزايا وَسْطَ نورِ جبينِه	فَتَرَكْتَه مُتجهمًا في غُمّةِ
طورًا يقبِّلهُ أسىً في نحره	ويشمُّ في الخدين عطرَ الوردةِ
ويضمُّه أُخرى لروضة صدرِه	فتغيبُ أمواجُ الأسى في الفرحةِ
رُحماك ربّي - والمُقدَّرُ حِكمةٌ -	هذا الملاكُ... أسيرُ تلك الكربةِ؟!
أهلاً بُنيَّ فأنتَ منِّي بَضعةٌ	ولَسوفَ تَحيا من دماك شريعتي
ستكونُ لي باقي حياتي سلوةً	وأراكَ في دُنيا الأذى ريحانتي
نفديكَ من ريحانةٍ فوّاحةٍ	ظمِأتْ على شاطي الفراتِ وجفَّتِ
نبكيكَ يا ريحانةَ الهادي كما	حُزنًا عليك بكى نبيُّ الأمةِ
نبكيكَ يا سبط الرسول تأسيًا	ونلوذُ من فَرْطِ الأسى بالدمعةِ

* * *

للهِ وقفتُك الفريدةُ صابرًا	صبرَ الجبال أمام كل رزيةِ
ملأث فيافي كربلاء جيوشُهم	فملأتهم رُعبًا بأشجع وقفةِ
تُهدي لوجه الله خيرَ أحبةٍ	وتجودُ بالطفل الرضيع وبالفتي
صرعى على وجه الرمال تساقطوا	وتوزَّعت أشلاؤهم في ساعةِ
ترثيهمُ طورًا بطرفٍ دامعٍ	وتُحيطُ بالثاني خيامَ النسوةِ
ثم انثنيت تشدُّ في أوساطهم	فحُبِيتَ تحت الطعن خيرَ شهادة
إن تهوِ ظمآنَ الحشا فلقد روت	زاكي دماكَ نباتَ كلِّ فضيلةِ
أَوَ تقضِي ما بين السيوفِ مُبضَّعًا؟!	فالحرُّ يحرصُ أن يموتَ بعزَّةِ
وبَقيتَ رمزًا للشعوب تدُلّها	بِيَدٍ مُضرَّجةٍ إلى الحريةِ

الهوامش

* عالم عاملي وأديب.

ولادة الزهراء (قصيدة)

الشاعر علي عطوي

ولادة الزهراء (عليها السلام)

علي عطوي*

نغمُ الوجودِ تهجّدٌ وصفاءُ	رقصتْ على إيقاعهِ الأرجاءُ
من سرِّ فردوسِ الجنان نشيدهُ	عُجنتْ بهِ الآياتُ والآلاءُ
سرُّ سرى بالمصطفى لعروجه	فاستبشرَ المعراجُ والإسراءُ
بل سرُّ أصل الكون أمسى مودعا	في صلبِ من طويتْ لهُ الغبراءُ
ولصدره جبريل حبّا ضمَّه	في رحلةٍ جادتْ لهُ الخضراءُ
واختيرت "الكبرى" فكانت فاطمٌ	واللهُ يقضي ما يرى ويشاءُ
إشراقُ وحيٍ واستقامةُ أعصر	وسنى وجودٍ فاضَ يا زهراءُ
حوريةٌ.. خيرُ النساء طهورةٌ	تقوى وزهدٌ خالصٌ وإباءُ
علمٌ وإيمانٌ.. بيانٌ صادقٌ	أغنى الحِجى وسريرةٌ سمحاءُ
وهي البتولُ وزوجُ من رُدّت لهُ	شمسُ المغيبِ وسحرُها الوضاءُ
وملائكُ الرحمنِ نادت باسمهِ	صلّتْ عليهِ الأرضُ والجوزاءُ

* * *

يا بنتَ خيرِ الأنبياء وخيرُ مَنْ	وطأَ الثرى وحنتْ له العُظماءُ
يرضى الإلهُ إذا رضيتِ وغاضبا	يبقى لترضَي والقضاءُ سواءُ
أُمُّ الأئمةِ سيرةٌ نبويةٌ	قدسيةٌ.. إنسيةٌ حوراءُ
ألدينُ والدنيا وسبعُ طباقِها	والخلدُ والملكوتُ والإيحاءُ
والشهبُ والمدَدُ المديدُ وسرُّهُ	والعصرُ والنُذراءُ والبُشراءُ
والروحُ والأفلاكُ في تكوينِها	واللوحُ والأبديّةُ الفيحاءُ
والخَلقُ كلُّ الخلقِ كان لأجلِكُمُ	وبدونِكُمُ يتكورُ الإنشاءُ
كيفَ العلوجُ على أذاكِ تجرأوا	ولكوثرِ الدينِ الحنيفِ أساؤوا
البابُ يشهدُ والجدارُ ومحسنٌ	والضلعُ والمسمارُ والإعياءُ

* * *

زهراءُ يا وجعَ السنينِ وصرخةَ	المظلومِ يستقوي بها الضعفاءُ
زهراءُ يا نهجَ البلاغةِ والتُقى	طلاّبُهُ العبّادُ والأدباءُ
زهراءُ يا صدقَ البيانِ وثورةَ	الوعي الخلوص ترومُهُ الخُلصاءُ
زهراءُ يا طهرَ الرسالةِ والعلا	وِردُ النُهى روّادهُ العُلماءُ
زهراءُ محرابُ العقيدةِ والهدى	صلّى بهِ الأطهارُ والنجباءُ
لا غَرْوَ إن ظلموكِ حيث بدولةِ	الطاغوتِ حتما يُظلمُ الشرفاءُ
لا غَرْوَ إن جهلوكِ هذي سنّةٌ	لا يستوي العلماءُ والجهلاءُ
سيظلُ وجهُ الحقِّ نورا ساطعا	ولسان صدقٍ صرحُهُ الأمناءُ
يا بضعةَ المختارِ إنَّا شيعةٌ..	لسواكِ يوما لن يكونَ ولاءُ
كوني شفيعتنا فأنتِ رجاؤنا	يا مَنْ بكمْ لا لنْ يخيبَ رجاءُ

الهوامش

* شاعر عاملي.

رسالة النجف — العدد الثاني

جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية · http://127.0.0.1:8000

جميع الحقوق محفوظة